كراسات الجيل [٢]

الحركة الطلابية الحديثة في مصر

تجربة ربع قرن

الدكتور/ أحمد عبد الله   المهندس/ أحمد بهاء الدين

(مع نقاشات لفيف من القيادات الطلابية)



مركز الجيل

للدراسات الشبابية والاجتماعية

إلي زين العابدين فؤاد ..

تقديرا " لدوره الكبير في الحركة الطلابية

: مناضلا " ... وشاعرا "

أحمد عبد الله و أحمد بهاء

تصدير

في ٢١ فبراير < يوم الطلاب العالمي > ، عقدت ندوة في عام ١٩٩٣ ، الذي صادف مرور ربع قرن علي بداية الحركة الطلابية الحديثةالتي اندلعت في مصر بعد هزيمة١٩٦٧ ، وشهدت انتفاضات طلابية بارزة في فبراير ١٩٦٨ ، ثم في نوفمبر ١٩٦٨ ، ثم في يناير ١٩٧٢ ثم العام الدراسي١٩٧٢/١٩٧٣ الذي مثل فورة في النضال الوطني الممهد لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ثم تعددت بعد ذللك الانتفاضات الطلابية الأصغر نطاقاً حتي أتت انتفاضة حرب الخليج الكبري في فبراير ١٩٩١.

وبذللك كان عام ١٩٩٣ فرصة لتدارس خبرات الحركة الطلابية من خلال نشاطها اليومي وانتفاضاتهاالمتعددة عبر ربع قرن من الزمان .

وقد قام بالرعاية المشكورة لهذه الندوة اتحاد الشباب التقدمي بحزب التجمع ، ودعاللمشاركة فيها العديد من نشطاء الحركة الذين برزوا علي مدي هذه الفترة بمواقفهم الفكرية المتنوعة ، لكن أعمال الندوة لم يتم تسجيلها بالكامل علي شرائط صوتية ، فلم يتوافر منها إلا القسم الذي يحتويه هذا الكتيب .

و « مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية » ، { الذي لم يكن قد تأسس بعد حتي وقت انعقاد الندوة } بجانب إهتمامه بنشر هذا العمل ، لا يملك سوي تأكيد الشكر لاتحاد الشباب التقدمي وأمينه الأستاذ / عادل الضوي وأعضاءه الذين قاموا علي إنجاح هذه الندوة وكذلك الشكر للدكتور إيمان يحيي صاحب الفكرة الأصلية لعقد الندوة ، وفي نفس الوقت لا يملك المركز سوي التعبير عن الأسف لأن أصواتاً وآراء أخري قيمة لم تجد طريقها إلي هذا الكتيب للسبب المذكور ، وربما تكون هناك في المستقبل فرصة أفضل لتسجيل خبرات العمل الطلابي للأجيال القادمة .

الدور الوطنى الديمقراطى للحركة الطلابية المصرية

د. أحمد عبد الله *

أرى أن من واجبى أولا أن أقدم إسهاماتى المتواضعة لبعض ممن يستحقون التحية .

أولاً: آخر شهداء حركة الطلبة فى مصر وهو المرحوم الشهيد خالد الوقاد . . الذى سقط برصاص الشرطة إبان مظاهرات الخليج فى جامعة القاهرة فى فبراير ١٩٩١ . أهديتها أيضا إلى آخر المتوفين الشبان زملينا المهندس عبد العزيز شفيق الذى توفى فى عام ١٩٩٢ بداء الكبد ، وكان من نشطاء حركة الطلبة فى هندسة القاهرة فى أوائل السبعينات . وأهديتها أيضاً لآخر الكبار الأحياء من رواد حركة الطلبة فى مصر ممن شاركوا فى إنتفاضة ١٩٣٥ – ١٩٣٦ وهو المهندس إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل حاليا ، والمعروف بإسم الشهيد الحى منذ تلك الفترة .

ليست مهمة سهلة أن ألخص الدور الوطنى الديمقراطى للحركة الطلابية المصرية . إنه من نوع السهل الممتنع . لكن على أى حال ، سأحاول جهدى وإجتهادى فأصيب أو أخطئ .

فى شأن الدور الوطنى للحركة الطلابية المصرية :

« الوطنية » هنا احتملت عدة معانى ، وعلى وجه الدقة معنيين . **المعنى الأول هو** معنى « المواجهة مع الآخر الخارجى » خصوصاً إذا كان هذا الآخر الخارجى معتديا أو

---

* رئيس اللجنة الوطنية فى انتفاضة يناير ١٩٧٢ . حصل على دكتوراة العلوم السياسية من جامعة كمبردج بانجلترا وكانت رسالته حول حركة الطلبة فى مصر. وحاليا مدير مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية .

مغتصباً أو محتلا . ومن ثم كانت المصادمة الرئيسية للحركة الطلابية المصرية مع قوات الإحتلال البريطانى قبل ١٩٥٢ ، ثم مع العدوان الصيهونى بعد ١٩٥٢ . أى هذا هو المعنى البسيط لهذه الوطنية التلقائية . الدفاع عن الوطن ـ بمعناه البسيط للغاية ـ إزاء الغاصبين . **المعنى الآخر** للوطنية المصرية ، وهذا أقل بساطة ـ لأن علينا أن نستشفه بأنفسنا من مجمل أداء الحركة ـ هو معنى « الإنتماء الوطنى الداخلى » . . ليس فقط مواجهة الآخر الخارجى، وإنما أيضا الإهتمام بقضايا الوطن والقلق عليه ومحاولة تغيير أوضاعه الداخلية .

وهذا نوع من أنواع الوطنية بغض النظر عن الموقف الايديولوچى أو الإجتماعى الذى أدى إليه هذا الشعور الوطنى فى ذهن أصحابه أى المنطلق الوجدانى هنا هو الحرص على الوطن بمعناه البسيط فى مواجهة الآخر الخارجى ، ولكن أيضاً بناء الوطن بمعناه الأكثر تعقيداً فى الداخل . . بكل المعانى . . البناء الوطنى الاجتماعى السياسى الاقتصادى . فقد عبرت الحركة الطلابية عن هذا المعنى من معانى الوطنية باعتبارها قوة حية فى الأمة ، قلقة على مصيرها، وبالتالى راغبة فى تغيير أوضاعها. أى بهذين المعنيين نستطيع أن نقول أنها «حركة وطنية» على وجه الإجمال .

على أننى أضيف هنا جانبين آخرين يؤديان لتكبير الموضوع بعض الشئ . . أولاً : أن الحركة الطلابية المصرية انطلقت من الوطنية إلى القومية ، فأصبح فى الوطنية المصرية بعد قومى عربى ، وأنا أتذكر جيداً ـ ويذكرنا بذلك الأخ أحمد بهاء الدين شعبان باعتباره من رواد هذا المجال فى النشاط الطلابى ـ مدى ارتباطنا بالحركة الفلسطينية ـ حركة المقاومة أو الثورة الفلسطينية ـ منذ ١٩٦٨ ، وخصوصاً فى أوائل السبعينات . كان ارتباطنا بقضية فلسطين شديداً للغاية . أى كنا نعتبرها شأناً من الشئون الداخلية المصرية

تقريباً ، وبالتالى نستطيع أن نقول هنا أن الوطنية المصرية قد ألح نشطاء الحركة الطلابية فى ربطها بالإطار القومى العربى ، وبخاصة قضية فلسطين .

أما فيما يخص الوطنية بمعنى المواجهة مع النفس ومحاولة تغيير الأوضاع الداخلية ، فأعتقد أن الحركة الطلابية كان لها إضافة أخرى غير مجرد القلق البسيط على أحوال البلد أو الشعب أو المجتمع . هذه الإضافة هى أن التحرك الطلابى فى حد ذاته كان يمثل مؤشراً مبكراً على ضرورة واتجاه التغيير في المجتمع . أى أن ما انتفضت الحركة الطلابية المصرية فى اتجاهه أصبح غالبا هو اتجاه المستقبل ، ولو بعد لأى وعنت ورفض من قبل السلطات الحاكمة . ففى العادة كانت الحركة الطلابية مؤشراً مبكراً على ما يجب أن يكون وربما لم تطرح هى نفسها بشكل واضح أو مقنع لتحدد ما يجب أن يكون ، لكنها مثلت المؤشر القاطع على إتجاه ما سيكون ، وعلى سبيل المثال ، كانت الشعارات الطلابية الرئيسية فى عام ١٩٦٨ فى إنتفاضتى فبراير ونوفمبر تدور حول مسألة الديموقراطية وسقوط دولة المخابرات والدولة البوليسية ، وهذا هو الذى كان بدءاً من برامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذى حاول عبد الناصر أن يستجيب فيه لهذا الضغط ، ثم بمحاولة التعددية الحزبية المحدودة التى نعيش فى إطارها حتى الآن . أيضا الضغط فى اتجاه حل مشكلة الأراضى المحتلة كان مكوناً أساسياً أو مطلباً رئيسياً فى الحركة الطلابية . فكان مؤشراً مبكراً على اتجاه النظام السياسى فى هذه الناحية .

وحرب أكتوبر ما كان من الممكن أن تقوم لولا الضغط الشعبى الشديد والذى ساهم فيه بلا شك جمهور الطلاب . ودون أن ننسب لأنفسنا أكثر مما نستحق ، لاشك أن الضغط الطلابى فى ١٩٧٢ - ١٩٧٣ قد لعب دوراً هاماً فى هذا الاتجاه ، وأنا شخصياً لم أذكر ذلك بالشكل القاطع فى كتابي عن الحركة الطلابية (الطلبة والسياسة ، دارسينا

، ١٩٩١) لكن بعض الباحثين الأجانب ذكروا ذلك بشكل قاطع . فمثلا هناك رسالة دكتوراه فى اسرائيل عن موضوع حركة الطلبة المصرية قال فيها المؤلف ـ واسمه حاجى إيريخ ـ ذلك بشكل قاطع « أنه لولا الضغط الطلابى لما ذهب السادات إلى ميدان القتال » . أى أنا لم أذهب إلى هذا الحد ، ولكن لاشك أن الأمر فيه بعض الحقيقة . بهذا المعنى كانت حركة الطلبة مؤشراً مبكراً على إتجاه الأمور مهما كان رفض السلطات الحاكمة للضغط الطلابى المبكر .

ماذا عن الدور الديموقراطى لحركة الطلبة ؟

حركة الطلبة المصرية فى ظل العصر الليبرالى قبل ١٩٥٢ كانت حركة ديمقراطية بالمعنى المؤسسى الرسمي أو شبه الرسمى . . بمعنى أنها كانت حركة فاعلة فى إطار التعددية السياسية المقرة رسمياً فى النظام السياسى . وهو نظام قائم على تعدد الأحزاب ، نظام قائم على التنافس بين القوى السياسية . فإحدى هذه القوى السياسية كانت فى الحقيقة احركة اطلابية ، وبالتالى كانت حركة شرعية مقبولة شرعيتها بشكل تلقائى من النظام السياسى . وهذا ما يميز بين الحركة الطلابية قبل ١٩٥٢ والحركة الطلابية بعد ١٩٥٢ . إذ أنه عبر الفترة بعد ١٩٥٢ اعتُبِر جمهور الطلاب ـ خصوصاً فى حال انتفاضهم ـ نوعاً من الأعداء ، كأنهم أعداء الشعب الذى أشارت إليهم شعارات النظام . ففى فترات الانتفاض الطلابى المتصاعدة كان النظام السياسى يلجأ عادة لعرض إحدى قضايا الجاسوسية مع اسرائيل لمحاولة إتهام جمهور الطلاب أن لهم صلة بالعدو . فى ١٩٦٨ عرضت قضية جاسوسية مع الأحداث الطلابية ، وفى ١٩٧٢ قضية جاسوسية أخرى .

وهذا مؤشر إلى فارق كبير بين حركة طلابية تعمل فى إطار نظام سياسى تعددى يقبل بوجودها ويحاول التأثير عليها ـ بالطبع ـ واحتواءها ، ونظام سياسى يرفضها منذ البداية ويحاول الإساءة إليها وتقبيحها ما وسعته الطاقة . وليس معنى هذا بالضرورة أن الحركة الطلابية فى إطار التعددية الليبرالية قبل عام ١٩٥٢ كانت متميزة بمفردها تماما . لأن الأحزاب السياسية كانت تقوم بدور داخل الحركة الطلابية ، وحزب الوفد كان يمثل الكتلة الطلابية الرئيسية . لكن المهم فى الأمر هو أن القوى السياسية الجديدة فى المجتمع أصبح لها أرضيتها داخل الحركة الطلابية . ففى نهايات الفترة الليبرالية بدأ دور كبير لحركات مصر الفتاة والإخوان المسلمين والحركة الشيوعية ، وتلك هى القوى الجديدة الثلاثة الرئيسية التى لعبت دوراً هاماً فى وسط جمهور الطلاب ، ثم بدأت فى إستقطابه بدرجة هددت سيطرة الأحزاب التقليدية على الحركة الطلابية كالوفد والأحزاب الأخرى . وقد حاول السياسيون دائماً التأثير فى حركة الطلبة انطلاقاً من الاعتراف بشرعيتها كمكون فى النظام السياسى ، ثم محاولة الاستفادة من احتواءها فى اتجاهاتهم واختياراتهم السياسية الخاصة ، وهذا عبر كل المتصل من أول زعماء المعارضة لرؤساء الحكومة . إن أحمد ماهر باشا لا يكون من الغريب أن يذهب للجامعة ويقف على سلم القاعة ويخاطب الطلاب مباشرة وهو رئيس وزراء . ولا يكون غريباً أن النحاس باشا يذهب لزيارة الطلبة المصابين فى المستشفى . ولا يكون غريباً أن الملك فاروق نفسه يستقبل وفوداً طلابية . ولا يكون غريباً أن محمد محمود باشا فى إطار انتفاضة ١٩٣٥ – ١٩٣٦ يحاول أن يلعب دوراً مؤثراً فى الحركة لصالح الأحرار الدستوريين . كل الأحزاب حاولت أن تؤثر فى حركة الطلبة . وهذا كان فى حد ذاته إعترافاً بأهمية هذه الحركة . وليس غريباً إذن أن تكون هذه الحركة هى التى ولدت القيادات السياسية فى

البلاد بعد التخرج من الجامعة ، أى وزراء ونقباء وزعماء معارضة والقيادات السياسية للحركة السياسية فى المجتمع على وجه العموم، فقد كانوا جميعهم ـ جميعهم تقريباً ـ من خريجى مدرسة حركة الطلبة .

وبعد ١٩٥٢ أصبحت هذه الظاهرة نادرة للغاية . أى أن المتمردين استمروا متمردين دائماً فى عرف النظام السياسى وتم التصرف معهم دائماً بناء على ملفاتهم الأمنية إبان النشاط الطلابى باستثناءات قليلة من العناصر التى ـ تقريباً ـ باعت نفسها بالكامل للنظام . أما الذى احتفظ بحد أدنى من مبادئه ومواقفه النضالية . فلم يستوعبه النظام السياسى إلا فيما ندر . حتى فى إطار المعارضة الرسمية . أى أن الأجيال الشابة التى خرجت من مدرسة الحركة الطلابية ظلت تلعب أدوار ثانوية فى إطار أحزاب المعارضة باستثناء بعض القوى غير المعترف بها شرعياً حتى الآن مثل القوى الإسلامية . فبعض عناصرها الشابة فى حركة الطلبة صعدت إلى مواقع شبه قيادية مثل القياديين الشبان فى النقابات المهنية . وهذا هو الاستثناء الوحيد تقريباً . أى عموماً الصورة أصبحت ختلفة عن فترة ما قبل ١٩٥٢ . فقبلها ، وبالمعنى الرسمى المؤسسى كانت الحركة الطلابية «حركة ديوقراطية رسمية » تساهم فى فعاليات النظام السياسى . أما بعد ١٩٥٢ فقد أصبحت الحركة الطلابية « حركة ديموقراطية مناوئه » بمعنى أنها القوى السياسية الرئيسية التى تضغط فى اتجاه الديموقراطية المفتقدة . أى كانت هى الباحث عن الديموقراطية ، أو كانت هى القوة الاجتماعية اتى تحمل مصباح البحث عن الحريات والديموقراطية . فبهذا المعنى كانت حركة الديموقراطية تضغط من داخل وضد البنية الأوتوقراطية للمجتمع السياسى وللنظام السياسى . وبهذا المعنى تعتبر الحركة الطلابية حركة ديموقراطية بالفعل ، حتى وإن لم تكن ديموقراطية فى كثير من تصرفاتها الداخلية .

إذن . . إذا قلنا أن الملمح الرئيسى لحركة الطلبة أنها حركة وطنية ديموقراطية . يتبقى سؤال . هل من دور إجتماعى لحركة الطلبة ؟ هل نستطيع أن نضيف إلى صفتى الوطنية والديموقراطية صفة « الإجتماعية » ؟ .

هنا أقدم فى عجالة بعض العناوين . **أولاً** أن الأيديولوچية الاجتماعية فى الصفوف الطلابية كانت تتركز فى الصفوة الطلابية أو فى الكادر الطلابى ، فى القيادات النشطة وليس فى القاعدة الطلابية. أى نستطيع أن نقول أنه كانت هناك قيادات طلابية اشتراكية، قيادات طلابية إسلامية ، قيادات طلابية ليبرالية . لكن القاعدة الطلابية كان يغلب عليها طابع الوطنية الديموقراطية بالمعانى البسيطة التلقائية ولا أكثر من ذلك : تحرير الوطن ، والحرية فى النظام السياسى ، لكن الكوادر الطلابية كانت دائماً تفترض أن القاعدة الطلابية متأثرة لدرجة كبيرة بأطروحاتها الاجتماعية وأيديولوچياها الاجتماعية . وأنا أعتقد أن هذا غير صحيح على وجه الدقة من مجمل الخبرة والدراسة فى هذا الموضوع . فالقاعدة الطلابية كانت تختلف عن القيادات الطلابية فى أن منحاها هو بالأساس منحى تلقائى وطنى ديموقراطى . أما القيادات فبالإضافة إلى موقفها الوطنى الديموقراطى كانت لها أيضا اختيارات اجتماعية ، وكانت تختلف من مرحلة لمرحلة . فمثلاً فى مرحلة الستينات والسبعينات كانت تسيطر العناصر الاشتراكية على كادر القيادة الطلابية ، ثم بعد ذلك أصبحت العناصر الإسلامية . وهذه طبعا عناصر ذات ايديولوچية واختيار اجتماعى ، لكن اختياراتها هذه لم تكن لتنسحب مائة بالمائة علي قواعدها الطلابية .

ولذلك لا يكون من الغريب أن الانتفاضات التاريخية الكبرى فى تاريخ مصر كانت تدور حول المسألة الوطنية بمعناها الواسع . وهذه فقط هى الانتفاضات التى شارك فيها أعداد كبيرة تقدر بعشرات الآلاف . وهى انتفاضة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ حيث كان المطلب

الجلاء . أو الاستقلال التام . فأتت بعدها معاهدة الشرف والاستقلال ١٩٣٦ . ثم انتفاضة ١٩٤٦ حيث كان المطلب الجلاء أيضا . جلاء القوات البريطانية بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، وقد أضيف إليها شئ من البعد الاجتماعى من خلال نشاط بعض العناصر العمالية والعناصر الطلابية الاشتراكية فى تلك الفترة . لكن البعد الأساسى كان بعد الوطنية ، حيث شارك عشرات الآلاف فى هذه الحركة أيضاً . وفى ١٩٦٨ كان المطلب الأساسى وطنيا وديموقراطياً . وشاركت فيه عشرات الآلاف من الجماهير الطلابية . و١٩٧٢ – ١٩٧٣ كانت كذلك ، وشاركت فيها أعداد كبيرة من الطلاب لأن المطلب الأساسى كان وطنياً ديموقراطياً .

أما فى الفترة التالية، ورغم أن النشاط الطلابى استمر أساساً بقيادة العناصر الإسلامية، إلا أن العناصر الإسلامية لا تستطيع أن تدعى لنفسها هذا القدر من الجماهيرية إلا فى المواقف التى برزت فيها أطروحاتها الوطنية وليس أطروحاتها الإسلامية . أى أطروحاتها الأيدويولوچية الضيقة . وخذ مثالاً . . فى الفترة الأخيرة لأول مرة يشارك الطلاب بأعداد كبيرة في انتفاضة حرب الخليج ، لأنها لم تكن انتفاضة إسلامية بل كانت انتفاضة وطنية بالمعنى الواسع . كان الكادر القيادى كادراً إسلامياً . لكن البعد الوطنى هام جداً للقاعدة . ونقصد به هنا البعد القومى العربى المرتبط بالوطنية المصرية . معنى هذا أنه إذا طرحت شعارات وطنية أو ديموقراطية يمكن أن يشارك فى الحركة عشرات الآلاف من الطلاب ، لكن ذا طرحت شعارات أيديولوچية ضيقة فإن العدد يصبح أقل .

وهناك جانب آخر فى البعد الإجتماعى ، وهو في تحالفات الطلاب مع قوى اجتماعية أخرى مثل جماهير العمال . هذا حدث بشكل واضح فى عام ١٩٤٦ وأيضاً فى ١٩٧٢ . . كان هناك قدر من المشاركة العمالية فى الانتفاضة الطلابية . لكن حركة الطلبة عبرت

بشكل أو بآخر – فى مطالبها المتناثرة – عن طموحات الطبقة الوسطى ، باعتبار أن جمهور الطلاب فى الأساس من أبناء الطبقة الوسطى – ٨٠٪ من طلاب الجامعات المصرية من أبناء الطبقة الوسطى – وعدد قليل من أبناء الطبقة العليا ، وعدد قليل من أبناء الطبقات الدنيا . ويستثنى من ذلك جامعة الأزهر ، لأن نصف طلاب جامعة الأزهر من أبناء العمال والفلاحين لكنهم أكثر محافظة من الناحية الفكرية . إن جماهير الطلبة أينما أتيحت الفرصة لغرض مطالب اجتماعية صريحة أو مضمرة ، كانت تعبر عن مطالب الطبقة الوسطى ، وإن طرحت الحركة الطلابية أحيانا مطالب متناقضة مع الطبقات الدنيا ، ومع قضايا الفقر والعدل الجتماعى ، كما حدث مثلا فى انتفاضة يناير ١٩٧٢ حيث تضمنت الوثيقة الطلابية الرئيسية لهذه الانتفاضة مطلباً أن يكون الفارق بين الحد الأدنى والأعلى للدخول (١) إلى (١٠) ، ومطلب الإفراج عن عمال حلوان المعتقلين ، مع بعض المطالب الخاصة بالعدالة الاجتماعية فى توزيع أعباء الحرب ، وذلك بتأثير العناصر الاشتراكية التى كانت قيادية فى الحركة . لكن على أى حال ، هذا البعد الاجتماعى فى حركة الطلبة هو بعد لا أقول ثانوى وإنما أقول إنه إضافى أو تكميلي للبعد الوطنى الديموقراطي الذى هو الملمح الرئيسى لحركة الطلبة .

ومن المهم فى هذا السياق أن نشير لى إشكالات « الأداء » الوطنى الديموقراطى للحركة الطلابية . ونشير أولاً إلى أن « الوطنية » التى طرحتها حركة الطلبة فى مصر أو تمثلتها كانت فى العادة وطنية رومانسية تتعلق بطموح الشباب ورغبته فى تحرير بلاده وتغيير أوضاع مجتمعه الداخلية دون حسابات عقلانية كثيرة . أى كان من صفات ذلك الحس التلقائى الذى يفترض إمكانية أن نحرر الأرض المحتلة بمجرد أن نتحرك ، أو إمكانية أن نغير مجمل الوضع الاجتماعى والسياسى بمجرد أن نخرج فى مظاهرة . كانت هناك

فى العادة روح رومانسية ، لكنها طبيعية فى حالة جيل الشباب ، ليس له أن يعتذر عنها ، وليس لنا أن نطلب منه أن يتخلى عنها ، فهذه ضرورة من ضرورات الحيوية الاجتماعية ، ومن ثم المقياس هنا يصبح قدره الآخرين فى المجتمع ـ سواء الأجيال الأكبر أو النظام السياسى أو القوى السياسية فى المجتمع الواسع ـ على الحوار مع هذه القوة الطلابية ، كما هى برومانسيتها ، دون أن تطلب منها كشرط للحوار التخلى عن رومانسيتها ، أو دون أن تضعها فى السجن بسبب رومانسيتها لأن الشئ الأساسى هنا ليس هو « الرومانسية » وإنما « الوطنية والديموقراطية » القابعة خلف هذه الروح الرومانسية .

النقطة الثانية فى إشكالات الأداء هى الديموقراطية أيضاً . فمثلما أن للوطنية إشكالياتها ، فإن للديموقراطية أيضاً إشكالياتها فى صفوف الحركة الطلابية . ذلك أنها كانت حركة داعية للديموقراطية على الصعيد المجتمعى الواسع ، لكنها نادراً ما مارست الديموقاطية داخل صفوفها الخاصة . وهذه هى الإشكالية الرئيسية فى تاريخ الحركة الطلابية المصرية . أنها كانت « تعظ بما لا تتعظ به » ! تدعو للديموقراطية فى البلد ، لكنها لا تمارس الديموقراطية فى الجامعة . العلاقات السيئة بين القوى الطلابية المختلفة كافية للتدليل على ذلك ، سواء قبل الثورة أو بعد الثورة . حيث عرفت الجامعة ظواهر الشتائم والتكفير والتحقير وسوء لغة الحوار وتمزيق الملابس والضرب بالأيادى والضرب بالعصى . . . الخ . ليس فقط على يد الإدارات الجامعية والسلطات الحكومية ، وإنما أيضا بين الطلاب وبعضهم البعض . وهذا عيب رئيسى فى الحركة الطلابية ، انها حركة ديموقراطية من حيث طموحاتها الاجتماعية ومطالبها الوطنية العامة ، لكنها ليست ديموقراطية تماماً من حيث أدائها داخل عقر دارها أو فى موقعها ، والمثل يقول طبعا « الإحسان يبدأ فى الدار » . هذه كانت من نقط التصيّد الرئيسية لحركة الطلبة . يستطيع

النظام السياسى دائماً أن يلعب على تناقضات الصفوف الطلابية ، فيضرب الحركة على وجه الإجمال . لكن على أى حال ، لا أريد أن أكون قاسياً هنا ، فنفس الشئ حادث على مستوى المجتمع السياسى الواسع . ولعل ما يحدث فى مصر فى هذه الساعات والأيام الأخيرة فى حد ذاته يدلل على هذه الأطروحة ، أن ثمة عيب عام فى القوى السياسية والاجتماعية المصرية . . حيث لا تتفق على الإطار الملائم للتصارع فيما بينها بما يخدم قضاياها العامة والمشتركة ، وإنما ـ مع الأسف ـ تشمت فى بعضها البعض وتترك للنظام السياسى فرصة تصيد كل منها على حدة دون أن تتعظ بحكاية الثور الأبيض والأحمر والأسود ! .

النقطة الثالثة فى إشكالات أداء الحركة الطلابية هى مسألة التراكم المبتور إذا جاز التعبير . أى أن أى حركة سياسية لكى تؤثر يلزمها تراكم . تقوى فتقوى تدريجيا ، وتؤثر فتؤثر تدريجياً لكن حركة الطلبة مشكلتها أن تراكمها مبتور . لأنه هكذا بطبيعة الانخراط الطلابى فى سلك التعليم الجامعى . . أى تدخل دفعة وتخج دفعة ، وبالتالى تصبح الصلة بين الأجيال الطلابية خاضعة للمصادفة . فقد يتبقى من جيل ١٩٦٨ بضعة أشخاص لازالوا يدرسون فى الجامعة ، فيعلموننا نحن جيل ٧٢ شيئا من الذى تعلموه وينقلون لنا الخبرة ، أو لا يتبقى أحد فنبدأ نحن من البداية ، وهكذا الإنقطاع موجود أيضا لأسباب سياسية متعلقة بنوع القيادة الطلابية أو الكادر الطلابى والقطاع السياسى الذى يسيطر عليه . فقد كان اليسار مثلا فى القيادة ، ثم أتى الإسلاميون فى القيادة ، فأصبحت هناك قطيعة . . الإسلاميون لا يتعلمون شيئاً من اليسار ، فيبدأون من البداية بل بالعكس يمكن أن يبدأوا من أنهم يلعنون اليسار بدل أن يواصلوا جهده السابق . إن التراكم مقطوع فى المجال الطلابى ، خصوصا فى مجال نقل الخبرة ـ بغض النظر عن

الاختيارات الأيديولوجية ــ وهذا عيب كبير فى حركة الطلبة لولاه لكانت أكثر تأثيراً فى المجتمع .

وهذا يأتى بى للنقطة الأخيرة لإشكاليات أداء الحركة ، وهو مسألة تأثيرها الاجتماعى الواسع أو الضيق بالنظر إلى كل مزاياها وعيوبها التى ذكرتها . أعتقد أن على هنا أن أستعير عنوانا لقصيدة للشاعر عبد الرحمن الأبنودى اسمها « الدائرة المقطوعة » وهى قصيدة شهيرة يتذكرها أبناء جيلى وفيها يقول :

إذا مش نازلين للناس

فبلاش

والزم بيتك

بيتك بيتك.

وافتكر اليوم ده لأنه

تاريخ موتى

وموتك .

هذا التعبير الأدبى يشير لى العلاقة بين الصفوة والجماهير . فإذا نظرنا للحركة الطلابية نجدها فى مجملها حركة صفوة رغم أن فيها صفوة وقاعدة أيضا فى داخلها . لكنها على وجه الإجمال حركة صفوة متعلمة فى مجتمع ،أمى طبقة وسطى فى مجتمع فيه انقسام طبقى حاد أكثر إنفتاحا على العالم فى مجتمع فيه تضليل دعائى من جانب السلطات الحاكمة للجماهير الواسعة . هذه الحركة دورها الطليعى محدد بمحددات

اعيوبها التى ذكرتها ، وبالتالى ينطبق عليه عنوان «الدائرة المقطوعة » . إنها صفوة فى الغالب منعزلة اجتماعيا رغم أنها نشطة فى داخل صفوفها الخاصة، فمعاركها مع السلطات الحاكمة معارك معزولة سواء بالمعنى الفيزيقى ـ أى داخل حرم الجامعة ـ أو بالمعنى السياسى الواسع تستطيع السلطات الحاكمة الاستفادة بالحركة الطلابية ومحاصرتها دون أن تترك أثراً كبيراً . لكن كلما اتضح البعد الوطنى الديموقراطى فى الحكة الطلابية ، وكلما تماسكت في أدائها الداخلى داخل صفوفها وبدت كجبهة متماسكة بغض النظر عن الاختلافات الأيديولوچية داخل الكادر الطلابى ، كلما كان تأثيرها الاجتماعى والسياسى أوسع . . لأنه بدلاً من أن يحاصرها النظام السياسى تصبح هى التى تحاصر السلطات الحاكمة ، وتصبح أكثر قدرة على التأثير . فإذا دعت الحركة الطلابية للديموقراطية وكانت ديوقراطية داخل الجامعة ، أصبح خطابها أكثر إقناعاً ، لكن إذا دعت للديموقراطية وكانت غير ديموقراطية داخل الجامعة أصبح خطابها أقل إقناعاً بالمنطق البسيط . أيضا إذا تناحرت الصفوف الطلابية فإنها تستهلك طاقتها الخاصة . وهذا يذكرنى بأول تقرير كُتِب عن حركة الطلبة في مصر سنة ١٩٣٥ وهو تقرير بَشْتَلى أفندى من وزارة الداخلية والذى قال فيه أطروحة أنه لابد من تشجيع الانقسام فى صفوف الطلبة من أجل أن يصفوا بعضهم البعض ، ثم تكرر نفس مضمون الأطروحة فى تقرير للسفير البيريطانى السير مايلز لامبسون قال فيه :

" Left to themselves , the students would fall out with one another and disintegrate " .

أى « إذا تُركوا لبعضهم البعض سيتعاركون مع بعضهم البعض وتتفرق صفوفهم » وهذه كانت سياسة عامة للسلطات الحاكمة فى تفريق الصفوف الطلابية ، وبالتالى

ضمان محاصرة تأثير الحركة الطلابية . بعبارة أخرى « الدائرة المقطوعة » لابد أن تغلق من أجل أن يكون لحكرة الطلبة تأثير أوسع فى المجتمع .

لكن ، على أى حال ، أيا كانت عيوب حركة الطلبة ، يظل فيها مزية رئيسية وهى أنها التعبير الرئيسى عن حيوية الأمة من خلال أن لديها أجيالاً شابة قلقة على المستقبل الوطنى . . لأن الأمة حين تصبح أجيالها الشابة لا مبالية ، لا متنمية ، غير قلقة ، غير راغبة فى تغيير الأوضاع إلى الأفضل ، فهذه الأمة تكون قد قاربت الموت بالموات ، أى هنا فعلا مقياس لحيوية الأمم ، خصوصاً فى غياب حيوية أكبر من الجيل الأكبر . . أى إذا كانت الأحزاب السياسية مثلا ـ بافتراض أن هناك تعددية سياسية ـ ضعيفة أو خاملة أو محاصرة أو محصورة ، فعلينا أن نبحث عن مقياس آخر لحيوية الأمة غير هذه الأحزاب أو بالإضافة إليها . فإذا وجدنا هذا المقياس فى صفوف الجيل الشاب ، فهناك أمل فى الأمة ، لكن إذا غلب على الجيل الشاب عنصر عدم الانتماء واللامبالاة ، فنحن نكون بصدد كارثة قومية . وهذا عنوان عام بغض النظر عن اختيارات هذا الجيل الشاب ، بغض النظر عن الانتماءات الأيديولوچية لهذا الجيل الشاب . أى لا يصبح فى الأمر فارقاً كبيراً أن تسيط العناصر الطلابية اليسارية أو الإسلامية أو الليبرالية أو الناصرية أو غيرها على الحركة الطلابية . فليس هذا هو الموضوع . لأن قضية الأيديولوچية محل تفاعلات ومخاض اجتماعى وتتغير من لحظة لأخرى .

والمهم أن هناك حركة دافعة . أن هناك تحركاً . أن هناك محاولة لقطاع هام من المجتمع هو جيل الشباب المتعلم أن يقول « نحن هنا » ، رأينا كذا حتى لو أن ٩٠٪ من الرأى الذى قاله كان خطأ . لأن الخطأ والصواب هنا خاضعان للتفاعلات الاجتماعية ، خصوصا إذا وجد نظام سياسى أكثر رشادة من النظام الحالى ، أى له القدرة على التفاعل

مع التحركات الشبابية والطلابية .

بهذا المعنى أعتقد أن الحركة الطلابية فى تاريخ مصر تعكس وتعبر عن حيوية الأمة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تعبر عن أزمة النظام السياسى مع أجياله الشابة . أى النظام السياسى الذى لا يستطيع مد جسوره مع الحركة الطلابية ويستطيع فقط أن يرسل لها قوات الأمن المركزى ، فيصبح المظهر المألوف للحياة السياسية فى مصر هو الصدام بين الشرطة والشباب . وهذا معناه أن هناك أزمة عميقة فى النظام السياسى . ويكون هذا هو التحدى . كيف نحافظ على حيوية الأمة من خلال أجيالها الشابة ؟ وكيف نشد أداء هذه الأجيال الشابة ؟ وفى نفس الوقت كيف نصلح النظام السياسى بواسطة العملية التفاعلية بين الطرفين بما فيها من صراعات وتفاهمات وتصادمات وتراضيات بالمعنى الواسع للعملية السياسية . . وليس بالمعنى الضيق السائد فى مصر ؟! .

خبرات ودروس من الحركة الطلابية فى السبعينات

المهندس. أحمد بهاء الدين شعبان *

القيمة أو الإضافة التى يمكن أن أضيفها فى هذا السبيل هى الحديث عما يمكن أن يسمى شهادة خاصة لتجربة تمثل إلى حد ما نطاقا واسعا من زملائى فى الحركة الطلابية الذين عاصروا مرحلة بدايات السبعينات حتى انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧. سأتحدث بشكل عام حول تجربة جيل السبعينات ودروسه وخبراته وسلبيات التعامل فيها . أى سآخذ جانب التجربة الشخصية التى تضيف إلى البانوراما العامة التى قدمها د . أحمد عبد الله وتغطى الوضع إلى حد ما .

فى البداية ينقصنا هنا عدد كبير من كوادر حركة الطلاب وقياداتها فى السبعينات ، وأخص بالذكر الزميل زين العابدين فؤاد لأنه كان أحد النشيطين فى هذه الحركة ، وآخرين . وكان سيكون شيئاً طيباً جداً لو أنهم كانوا موجودين ، لأن إضافتهم كانت ستغنى الحوار وتضيف رؤى ووجهات نظر جديدة . وأتمنى فى أى مناسبة قادمة أن يتاح لنا فرصة سماع وجهات نظرهم ، ليس فقط هؤلاء الأفراد ، وإنما أيضا من الاتجاهات الأخرى التى يتشوق المرء أن يسمعهم أكثر من زملاء الطريق الذين يعرف وجهات نظرهم بشكل عام ، وأعتقد أنه على الأقل الزملاء فى التيار الإسلامى المرء محتاج جداً أن يسمع تحليلهم ورؤيتهم ، لأنه لم يكن لنا الحظ أن نعاصرهم فى فترة نمو الحركة الإسلامية فى الجامعة فى الشكل الأخير .

---

* من قيادات الحركة البارزين فى كلية الهندسة وجامعة القاهرة فى السبعينات ـ عضو اللجنة الوطنية للطلبة ثم رئيس نادى الفكر الاشتراكى ـ حالياً ـ مهندس يعمل فى مجال الطباعة .

القيمة الأساسية بالنسبة لحركة الطلاب فى تصورى ـ وبالذات فى فترة السبعينات ـ لا يمكن إدراكها إلا بإدراك الظروف التى انطلقت فيها هذه الحركة . فى السبعينات دخلنا الجامعة ، كجيل متوسط عمره فى حدود ثمانية عشر أو تسعة عشر عاماً . أى شباب صغير جداً . . حديث التجربة . . محدود الطاقات والإمكانيات . وهذه قيمة تضاف إلى قيمة هذه الحركة . إن هذا الشباب المحدود السن والخبرة والتجربة يُحَمل بأعباء فوق طاقته ويُطَلب منه مسئوليات ضخمة جداً ، وبالتالى تبدو ظواهر السلبيات التى أشار إلى بعض منها د. أحمد عبد الله ـ شيئاً منطقياً مع حداثة التجربة والخبرة لهذا الجيل .

حينما دخلنا الجامعة فى أواخر الستينات وبداية السبعينات كانت الحال كالتالى :

مصر مهزومة هزيمة ساحقة ، وحالة من التمزق النفسى الهائل تسيطر على أجيال الشباب ، وحال من التخبط والوعود المتكررة بالحرب ضد إسرائيل تنتهى إلى لا شئ ، وإحباط عام ، وفى نفس اللحظة سيطرة مطلقة من أجهزة الأمن ومباحث أمن الدولة ـ أى منظمات الدولة الرسمية ـ داخل الجامعة وخارجها ، ولم يكن هناك فرصة على الإطلاق لأى شاب أن يتحدث داخل الإطار الرسمى للدولة الذى كانت تمثله فى تلك الآونة الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب ـ كتنظيم شباب فى أوساط الطلبة وشباب البلد ـ ، وكل الأطراف الأخرى والاتجاهات السياسية خارج الإطار الرسمى كانت محاصرة ومضروبة ـ الشيوعيون أو اليساريون أو الإسلاميون أو غيرهم ـ إما فى السجون والمعتقلات وإما محاصرون بصورة أو بأخرى ـ ، وبالتالى كان مجال حرية التعبير يكاد يكون مغلقاً أمام كل القوى خارج الرأى الرسمى للدولة . هذه نقطة مهمة جداً تلقى ضوءاً على قيمة انتفاضات الطلاب فى تلك اللحظة . . ربما يضاف إلى هذا

الموضوع غياب أى رؤية متكاملة خارج الرؤية الرسمية للنظام رغم أن الانقسام العام فى المجتمع لا تبدو له نهاية ، والشئ الوحيد الذى كان يوحد اتجاهات الشباب كانت الحرب ضد اسرائيل . وهذ النقطة كانت غاية فى الأهمية .

وبالنسبة للاتجاهات الاشتراكية فى الجامعة بالذات كان هناك ثلاثة مؤثرات رئيسية واضحة المعالم تركت بصماتها على مسار الاتجاهات الفكرية لشباب الجامعة فى تلك الآونة :

المؤثر الأول : هو حركة المقاومة الفلسطينية التى مثلت بانفجارها عقب الهزيمة طرحاً جديداً بأسلوب جديد فى الحوار مع الخصم ومع العدو ، وهو تبنى قضية حرب التحرير الشعبية فى مواجهة النظام وفي مواجهة الأساليب والسياسات العقيمة التى أثبتت فشلا على مر التاريخ ، وبالتالى كان هناك تبنى واسع جداً من قيادات الحركة الطلابية وغيرها ومن قطاع لا يمكن إنكاره من قواعدها ، لأطروحات الثورة الفلسطينية وقضية الكفاح المسلح فى مواجهة العدو الصهيونى .

المؤثر الثانى : فى تلك الفترة هو أن العالم شهد تصاعد النضال الفيتنامى ، وقيمة النضال الفيتنامى بالنسبة للجيل الذى أقبل على الجامعة وقتها أنه طرح قضية ملموسة لقدرة شعب بسيط ــ جموعه الغالبة من الفلاحين الفقراء ــ على تحدى أكبر قوة مسلحة فى العالم وإلحاق الهزيمة بها . وبالتالى أصبحت القضية قابلة للتحقق والتكرار . . إذن يمكننا أيضا فى مصر وفى الوطن العربى أن نصارع الإمبريالية الأمريكية ، وأن نصارع العدو الصهيونى ، وأن نهزمهما كما هزم الفيتناميون الأمريكان وحلفاءهم .

ثم يأتى **مؤثر ثالث** له طابع رومانسى عام اعتقد أن من عاش هذه المرحلة فى بداية

السبعينات فى الجامعة يمكن أن يدركه ، وهو الظروف التى أحاطت باستشهاد المناضل الأممي أرنستو شي جيفارا ، الذى كان بحق نموذجاً ثورياً فذاً ، واستشهد بطريقة رومانسية تليق باستشهاد أصحاب الرسالات والأفكار الاجتماعية العليا . وطرحه كمثال فى تلك الفترة استجاب إلى النزوع الرومانسي والشاعرى للطلبة فى سن تقرب من سن المراهقة والتفتح الوجدانى والذهنى .

هذه المؤثرات الثلاث كانت ذات قيمة كبيرة جداً بالنسبة للاتجاه الاشتراكى فى الجامعة . . وتبلورت فى إطارها مجموعة من جماعات طرحت قضايا مناصرة للثورة الفلسطينية كقضية أساسية ، ثم ارتبطت هذه المؤثرات بقضية الديموقراطية والقضية الوطنية . ولا خلاف على الإطلاق فيما ذهب إليه زميلى د. أحمد عبد الله من أن القضية الديموقراطية والقضية الوطنية هى عناصر مجمعة لطاقات الحركة الطلابية والشباب . وربما أتذكر أنه لم يحدث انقسام ذو بال فى حركة الطلاب فى السبعينات إلا حينما بدأ طرح البعد الاجتماعى للقضايا البرنامجية لحركة الطلاب . بمعنى أنه طالما كانت القضية هى الكفاح ضد اسرائيل والكفاح من أجل انتزاع حريات ديموقراطية داخل الجامعة وخارجها ، وكانت هذه هى الشعارات الأساسية التى يناضل الطلاب من أجلها . فقد كان هناك ما يشبه الإجماع العام فى الدفاع عن هذه المبادئ . لكن حينما طرحت قضايا ذات بعد اجتماعى كنت تجد قطاعات مؤيدة وقطاعات معارضة ، وتؤثر فى هذه المواقف الانتماءات الطبقية من ناحية والمؤثرات الاجتماعية من ناحية أخرى .

لكن المشهود له فى هذه الفترة أنه كلما كانت قضايا النضال الوطنى الديموقراطى العام هى التى تطرح فقد كانت قادرة على تجميع وحشد قوى واسعة جداً من خلفها ، والتأثير فى اتساع قاعدة الجماهير المؤيدة ، والعكس كان يحدث حينما تطرح قضايا

ذات بعد اجتماعى أكثر مما تحتمله فى الواقع ساحة الجامعى فى صراعها ضد العدو المشترك .

القيمة الأساسية بالنسبة لحركة الطلاب هى أنها جاءت بعد حالة من حالات الركود السياسى والاجتماعى العام فى المجتمع ، والإحباط الكامل الناجم عن الهزيمة وعن فشل كل سياسات المواجهة التي دارت حول شعارات الحل السلمى ، وبالتالى فإن أطروحات الحركة الطلابية التي دفعت بقضية الديموقراطية والحرب ضد إسرائيل إلى القمة مثلت إضافة حقيقية ينبغى أن توضع فى الاعتبار ، بل أننى أزعم أن حركة الطلاب لم تؤثر فقط فى قضية الصراع ضد الاستعمار والعدوان الإسرائيلى ، وإنما أيضا أثرت فى فتح قناة للتأثير الديموقراطى فى المجتمع . . بمعنى أن كل ظواهر النمو الديموقراطى فى المجتمع أيا كانت حدوده بعد عام ١٩٧٢ ، وأهمها إعلان تأسيس المنابر ثم الأحزاب السياسية الراهنة ـ ومنها حزب التجمع وحزب العمل وغيرهما ـ كانت فى جزء منها استجابة للضغوط التى مارستها قطاعات الطلاب والشباب فى المجتمع من أجل فتح مسارات ديموقراطية لاستيعاب ومحاولة التأثير فى اتجاه التعبير عن الرأى وحرية التنظيم وتحطيم هيمنة الدولة على الوعى والتنظيم السياسى فى المجتمع . فإضافة إلى أنها كانت مؤثرا رئيسيا من مؤثرات الحرب ضد إسرائيل ، فإن التطور الديموقراطى فى المجتمع لعبت حركة الطلاب دوراً كبيراً جداً فى الدفع باتجاهه . قد لا تكون هى المؤثر الوحيدة أو المؤثر الأساسى . . لكن بلا جدال فى ظل ظروف السبعينات وبدايتها فإن أى مراقب موضوعى يجب أن يضع فى الاعتبار الدورّ الذى لعبته حركة الطلاب فى طرح قضية الديموقراطية وقضية حرية التنظيم خارج هيمنة الدولة وقضية حق التعبير وقضية ضمانات الممارسة الديموقراطية فى المجتمع خارج الأطر الرسمية للنظام . وبتأثير ضغوط شديدة فى

المجتمع ، وبتأثير تحولات اقتصادية واجتماعية خارج الجامعة ، ثم بتأثير حركة الطلاب ودفعها لقضية الديموقراطية ، طرح أنور السادات قضية المنابر ، حتى تطورت باتجاه الأحزاب والواقع الراهن الذى نحياه ، والذى يشهد إلى حد كبير ضعف هيمنة النظام على مسارات العمل الديموقراطى خارج السلطة وتنظيماتها .

وحينما دخلنا الجامعة لم نجد أى يد تمتد لنا بأية خبرة ذات قيمة من الأجيال السابقة . . لا داخل الجامعة ولا خارجها . وهذه قضية من أخطر ما يكون ، وسنجدها باستمرار تتكرر فى مسار حركة الطلاب والشباب فى مصر . يأتى جيل يحمل خبرات يدفع ثمنها غالياً اعتقالات وتضحيات وتشريد ومنافى و . . . الخ ، ثم يمضى بخبراته دون أن يسعى إلى نقلها إلى الأجيال التالية ولا يستفيد بها أى جيل آخر . وبالتالى تأخذ مسارات الوعى عندنا صورة أشبه بأنصاف دوائر ـ أى متراكمة ـ ولا يصل فيها الوعى السابق إلى اللاحق .

وبالتالى أيضا كان أحد المؤثرات فى حركة السبعينات انها بدأت من نقطة الصفر ، بدون وعى سابق يشير لها إلى ملامح الطريق ، وأدى هذا الوضع إلى كم من الأخطاء والسلبيات والتجاوزات كان من الممكن ببساطة ألا تحدث وأن نستفيد بالطاقات الهائلة التى كانت موجودة بشكل أفضل . لكن واقع الأمر أن خبرات شباب ما دون العشرين أو نحو ذلك لم تكن تستطيع أن تقدم أكثر مما قدمت فى ظروف صعبة جداً ، وفى ظروف حرب مستمرة من السلطة وتفكك عام فى النظام وغياب الوعى وعدم القدرة على تحديد ملامح الطريق . وبرغم هذا استطاعت حركة الشباب وحركة الطلاب ببساطة أن تضع يديها على العناصر الأساسية لملامح أو محاور النضال الوطنى فى مصر ، وأهمها قضية الصراع ضد الاستعمار أو قضية الأرض المحتلة وتحريرها . ثم قضية الديموقراطية وكيف

يمكن أن نصل إلى حريات حقيقية للتعبير فى بلادنا .

أما بالنسبه لقضيه العلاقة بين القوى النشطة فى الحركة الطلابية فاشير هنا إلى كنت شاهدا لجانب من فصوله ، وهو حوار ما بين التيار الاشتراكى والتيار الناصرى . وطبعا أنا لم ألحق ـ الحقيقة ـ التيار الإسلامى ، ولا أستطيع أن أدلى بدلوى فى هذا الموضوع . لكن فيما يخص العلاقة الشائكة بين التيارين ، فأيضا أود أن أعود بالذاكرة إلى بداية السبعينات . . حينما كان التيار اليسارى فى الجامعة يحمل موقفاً واضحاً ومحدداً تجاه التجربة الناصرية ، وموقفاً ـ فى النهاية ـ سلبياً يحملها الكثير من أخطاء الوضع فى مصر ، ويحملها نتائج ما حاق بالحركة اليسارية المصرية من أوضاع وتأثيرات. وأيضا الناصريون أتوا إلى الجامعة باعتبار أنهم يحملون تراثاً يقترب إلى حد ما من السلطة بصورة أو بأخرى . وبالتالى الحوار كان مقطوعاً بين الطرفين تماماً ، وفي أحيان كثيرة كان يتحول إلى حوار عدائى ومواقف مضادة من كل طرف تجاه الآخر . وقد حاولنا فى فترة من الفترات أن نضع قواعد لإدارة الحوار والصراع فى الجامعة فيما بين الاتجاهات التى كان يرى البعض أنها اتجاهات متقاربة والوصول إلى نتائج إيجابية فى الصراع فيما بينها . . خاصة وأن العدو كان عدواً واحداً ، وكان يمثل النظام وقدرته أو محاولاته المستمرة لعرقلة مسار حركة الطلاب وتحطيم الوحدة بين صفوفها تنفيذاً لسياسة فرق تسد ، بإثارة الفتنة فى قواعد حركة الطلاب لتفتيت صفوفها . بدأ الحوار فيما أطلق عليه حينذاك **الحوار الجميل** ، بين **نادى الفكر الاشتراكى** من طرف و**نادى الفكر الناصرى** من طرف آخر . وطبعا كأى حوار بدأ بشد وجذب ، ثم انتهى إلى نوع من التنسيق والاتفاق على برنامج للعمل المشترك . . تطور فى مسيرات ونشاطات صدامية داخل الجامعة وخارجها . . كان ذروتها المسيرة التى حاصرت مجلس الشعب فى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٦

وبيننا وبين السلطة داخل أسوار الجامعة، إلي محاولة للخروج خارجها ، والنجاح إلى حد ما فى هذا الأمر .

وفى مقال فى « الطليعة » كتبته آنذاك (فبراير ١٩٧٧) أشرت إلى بعض محددات الرؤية حول الحوار بين القوى النشطة فى الحركة الطلابية فى السبعينات . بالنسبة لهذه الرؤية كان هدف الحوار مثل ماتبنيناه فى نادى الفكر الإشتراكي :

أولاً : الفهم الصحيح والمتبادل لبرنامج كل طرف واستيعاب رؤاه السياسية وتحليلاته للواقع وحلوله لقضاياه .

ثانياً: تحديد نقاط الاتفاق والتأكيد عليها والعمل على توسيعها وتعميقها أفقياً ورأسياً .

ثالثاً: تحديد نقاط الخلاف ومحاولة تقليصها إلى أدنى حد ممكن .

رابعاً: العمل على بلورة برنامج سياسى وطنى وديموقراطى مشترك يحدد المهام الراهنة للحركة الطلابية .

خامساً: الانتقال من مجال الحوار النظرى إلى مجال العمل فى الواقع الحى والممارسة الفعلية لتنفيذ هذا البرنامج .

ثم تطورت العلاقة بين أعضاء الاتجاهين ، والتى بدأت بالحوار وتعمقت بالعمل المشترك. فى إطار الإقرار بمبدأين أساسيين هما الاعتراف بحق كل فصيل وطنى ديموقراطى فى الجامعة بالتمايز تنظيماً وأيديولوجيا داخل مؤسساته، والشيئ الثانى.. الاعتراف بقانون الوحدة والصراع حكما ينظم الحوار بين الفصيلين ويحكم العلاقة بينهما .

ينظم الحوار بين الفصلين ويحكم العلاقة بينهما .

وأظن أن هذه المبادئ العامة التى أدركناها ونحن شباب فى حدود العشرين عاما لازالت هى المبادئ العامة الصالحة لإدارة الحوار بين أى قوى سياسية ، أو أى قوى اجتماعية ، أو أى قوى طلابية تبغى ـ حقيقة ـ الاتفاق على نقاط مشتركة للنضال المشترك . وكان يمكن جداً للزميل حمدين صباحى إذا كان معنا أن يضيف إلى هذه الرؤية رؤية التيار الناصرى . لكن على أى الأحوال ، هذا البرنامج الذى طُرح فى هذه الآونة أدى إلى نوع من وضع حد للصراعات الداخلية بين تيارات الحركة الطلابية النشطة فى هذه الفترة والاتفاق على برنامج للعمل المشترك وبلورة خطة عمل موحدة للاتجاهات المتباينة داخل الجامعة . وأتمنى طبعا لزملائنا فى الأجيال الجديدة ألا يكرروا أخطاءنا وأن يستفيدوا من هذه التجربة فى محاولة إيجاد قواسم مشتركة للعمل الطلابى داخل الجامعة . فلاشك أن السعى من أجل إيجاد حركة طلابية موحدة تتفق إتفاقاً كاملاً على كل وجهات نظرها شئ غير منطقى وغير قابل للتحقق . . لأن حركة الطلاب تأتى من منابع اجتماعية واقتصادية متباينة وتحمل رؤى أفكار متباينة . وبالتالى من الطبيعى جداً أن يكون لكل فصيل فيها وجهة نظر مختلفة عن الطرف الآخر ، لكن علينا أن نتمسك بأسس الحوار الديموقراطى . وربما لو عاد بنا الزمن مرة أخرى لكان الإنسان أكثر حرصاً على هذه القيمة مما كنا عليه فى السابق . فبالرغم من أن حركة الطلاب فى السبعينات كانت تحظى بنمو حقيقى للتيارات الاشتراكية واليسارية ، وكان من الصعب جدا لها مقاومة نشوة أن تكون قائدة لحركة جماهيرية ذات اتجاه انفرادى ، لكن لو عادت الأيام من جديد لكنا أكثر ديموقراطية فى التعامل مع قضايا تتسم بطبيعتها بإطار ديموقراطى عام . . لكنا أكثر نزوعاً إلى السعى من أجل إيجاد القواسم المشتركة للنضال المشترك . . ولكنا أكثر إدراكاً

لأن قضايا الوطن ليست أمانة فى عنق اتجاه واحد ، وإنما هى أمانة فى عنق كل أبناء الوطن على اختلاف انتماءاتهم واتجاهاتهم .

×××××

إن الفترة التى نحياها الآن تعيد الذكرى للفترة التى مارسنا فيها صراعنا ضد إرهاب النظام فى أوائل السبعينات . ولقد حضرت منذ أيام مؤتمراً فى نقابة المهندسين ــ وكان هناك فى نقابات أخرى مؤتمرات شبيهة . هذه المؤتمرات قيمتها الأساسية ــ وأرجو أن يكون حديثى هذا موجها إلى زملاء التيار الإسلامي ــ قيمتها الأساسية أن تحيى من جديد قيم العمل الديموقراطى النقابى وأن تتمسك بضرورة أن تفتح النقابات المهنية لكل روافد العمل النقابى أيا كانت اتجاهاتها أو ديانتها أو معتقداتها . . لأن تجربتنا تقول بوضوح شديد لقد قُتِلنا أو ذُبحِنا يوم ذُبح الثور الأبيض أو الأسود كما تقول القصة الشهيرة . . لقد دأب النظام دائماً وباستمرار على أن يسعى للانفراد بكل قوة وحدها : مرة يضرب الشيوعيين فيحيّد الإخوان ويحيد الاتجاهات السياسية الأخرى ، ثم ينقلب على الإخوان فيحيّد الشيوعيين والاتجاهات الأخرى ، ثم ينفرد فى النهاية بالسلطة ويقمع كل القوى أيا كانت اتجاهاتها .

إن درس حركة الطلاب الأساسى هو الوحدة فى إطار التعدد الديموقراطى ، وبدون هذه الراية من الصعب جداً أن نجد فرصة لإعادة إحياء نضال الحركة الطلابية وتطوير حركتها فى المستقبل .

ما هى الدروس الأساسية التى يمكن الخروج بها من تجربة حركة الطلاب ؟ أعيد من جديد تكرار أننى أتحدث عن تجربة شخصية هى تجربة حركة الطلاب فى السبعينات .

ويعذرنى كل الزملاء إذا رأوا أنى لم أتناول باقى المراحل الزمنية . فأنا أفضل أن أتحدث عن تجربة السبعينات لأنها تجربة شاهد عيان من الممكن أن أتحدث عنها بثقة .

فى رأيى أن حركة الطلاب حققت مجموعة من الإنجازات وفشلت فى تحقيق عدد من الأهداف التى كان يجب ، أو كان من الممكن تحقيقها . .

فما هى الإيجابيات التى حققتها حركة الطلاب فى السبعينات ، والتى يمكن أن نضع أيدينا عليها ؟ .

أولاً : مثلت هذه الحركة أكبر تحرك جماهيرى تلقائى واسع النطاق . طبعا هذا فى إطار غياب أى حركة جماهيرية خارج أطر النظام ـ كما أشرت من قبل ـ أى خارج الأطر المؤسسية للنظام منذ سنة ١٩٥٢ أو ١٩٥٣ ، سواء كان ذلك على مستوى الحجم أو الاستمزارية أو نوعية القضايا المطروحة أو حدة الصدام مع أدوات القمع . هذه قيمة أولى لحركة الطلاب أو إحدى الإيجابيات التى تحققت .

ثانياً : طرحت الانتفاضات الطلابية مجموعة من القضايا الهامة التى تهم كافة أبناء الوطن ، فاستعادت بذلك تقاليد النضال الطلابى القديمة بعد سنوات من محاولات الاستيعاب والإلهاء وتحويل جهد الطلاب للحفلات والنشاطات الترفيهية الشكلية . وهذه نقطة مهمة أعتقد أنها تتكرر الآن . . لأن نشاط القاعدة الطلابية العريضة فيما قبل انتفاضات الطلاب فى السبعينات كان مقصوراً على الحفلات وحفلات السمر وانتخابات الطالب المثالى وما شابه من النشاطات التى تسعى لتفريغ طاقة الشباب وتحييد قدراته فى مسارب جانبية .

ثالثاً : حركت حالة الركود السياسى التى سيطرت على البلاد خاصة بعد استيلاء

السادات فى ١٥ مايو على مقاليد السلطة فى مصر .

رابعاً : طرحت الموقف الاستقلالى عن النظام ومؤسساته لأول مرة فى مصر منذ عام ١٩٥٣ بقوة ووضوح ، وعبرت عن طموحات الاستقلالية التنظيمية بوعى ، وسعت لخلق أجنة لم يكتمل نموها . . لكنها جسدت الإمكانيات الموضوعية لهذا الأمر ، وألقت الضوء على الضعف التنظيمى لحركة اليسار المصرى وضرورات تجاوز هذا الوضع . وأكرر أننى أتكلم كشهادة من الاتجاهات الاشتراكية داخل الجامعة ، ولا أدعى لنفسى الحديث باسم باقى الاتجاهات الأخرى .

خامساً : طرحت مبادئ برنامجية احتوت أغلب الشعارات الأساسية للنضال الوطنى والثورى والتى لا تزال حتى الآن ـ وبرغم مرور ما يقرب من خمسة وعشرين عاما ـ صحيحة فى مجملها كقضايا الديوقراطية ، والعلاقات بأمريكا ، والموقف من العدو الصهيونى ، والثورة الفلسطينية . وكذلك أكدت تبنيها للمطالب الاجتماعية للطبقات الشعبية .

سادساً : أعلنت راية التضامن النضالى مع الشعوب المناضلة فى العالم أجمع ـ وبالذات الثورة الفلسطينية التى احتلت نشاطات مناصرتها موقع القلب من نضالات الحركة الطلابية المصرية .

سابعاً : اكتسبت قاعدة جماهيرية عريضة فى صف الفكر الاشتراكى لأول مرة فى تاريخ الجامعة المصرية والمجتمع المصرى بأكمله . وعودت الوطن المصرى على التعامل معه بشكل طبيعى بعد سنوات من العزلة نتيجة لتأثير الحملات المغرضة ، واكتسبت التعاطف من الهيئات المعنية والنقابات المهنية والتجمعات خارج الجامعة . ويهمنى فى هذا الإطار

أن أشير إلى حالة التضامن الواسع التى عمت المجتمع ، وبالذات النقابات المهنية كالصحفيين والمهندسين والمحامين ، والتى تمثلت فى عديد من اللقاءات والاجتماعات المؤيدة لحركة الطلاب فى تلك الفترة .

ثامناً : وضعت أساساً عملياً للحوار بين الفصائل الوطنية المختلفة ـ مثل الاشتراكية والناصرية بصورة أساسية ـ ، وأوجدت هامشا واسعا للتعاون على أرضية برنامجية تؤكد نطاق التلاقى ولا تخفى تباين المنطلقات أو مواقع الاختلاف ، وتتجاوز حساسيات المرحلة السابقة فى مواجهة مقتضيات الوضع الراهن ومسئولياته .

تاسعاً : نقلت العمل السياسى المباشر إلى الشارع المصرى . . بعد أن تم احتوائه لفترة طويلة داخل الأروقة والمؤسسات وأوصلت القضايا السياسية إلى كل بيت مصرى عن طريق تطورات الواقع فى الجامعة وعن طريق الطلاب المنتشرين فى أنحاء البلاد .

عاشراً : ساعدت على كسر احتكار العمل السياسى بتشجيع كافة النقابات والتجمعات المهنية على المبادرة باتخاذ مواقف من الأحداث . . مما ساعد على إلغاء صيغة احتكار العمل السياسى عن طريق الحزب الواحد . الأمر الذى كان له فيما بعد أثر كبير فى إنشاء المنابر ثم الأحزاب السياسية القائمة الآن .

حادى عشر : كسرت حاجز الرهبة من نتائج التعبير عن الرأى والخوف من السلطة ومن مغبة اتخاذ موقف سياسى بعد أن أصبحت عملية الدخول إلى المعتقل والخروج منه عملا شبه يومى لآلاف الطلاب .

ثانى عشر : كونت بؤرة اشعاع نضالى فى بدايات حكم السادات . عبرت بصدق وقوة عن روح المقاومة فى الشعب المصرى وعن الضمير الوطنى . . فى وقت عز فيه

الرأى المخالف ونفيت فيه الأصوات المعارضة .

ثالث عشر : صححت الموقف اليسارى والماركسى من الشوائب التى علقت به في مواجهة إنشاء دولة العدو الصهيونى . ،هذه نقطة مهمة جداً . لأنه فى الفترة التى سبقت اندلاع حركات الطلاب فى السبعينات كانت هناك علامات استفهام واضحة ومتكررة حول موقف اليسار المصرى من إنشاء إسرائيل ونموهه بهذا الشكل العدوانى السرطانى ، وكلنا نذكر أن الحركة الشيوعية واليسارية المصرية نشأت فى الأربعينات من أصول وفروع لعب اليهود فيها دوراً كبيراً . وبالتالى ظلت مواقف اليسار المصرى تحمل علامات استفهام حول صحة ومدى عمق موقفهم من العدو الصهيونى . ولأول مرة فى مصر يتبنى فصيل يشار إليه باليسارية أو الاشتراكية موقفا واضحاً ومحدداً يرفض تماماً من حيث المبدأ قضية الوجود الصهيونى ، ويكافح بكل ما أوتى من قوة فى حدود إمكانياته ضد الصلح مع اسرائيل أو إيجاد حل على أساس التنازل أو التفريط فى التراب الوطنى للعدو الصهيونى . وهذه نقطة مهمة جداً لأنها كانت أيضا إحدى الإيجابيات الملحوظة لحركة الطلاب فى الفترة التى أتحدث عنها .

نقطة أخيرة . . أن حركة الطلاب أكسبت جيلاً من الشباب الذى ساهم فيها خبرات تنظيمية حركية قيمة عبر التجربة والخطأ . . مثلت زاداً كبيراً لإغناء الواقع السياسى المصرى ، وإن كان للأسف الشديد لم يتم لقصور فى الطرفين ـ فى القوى السياسية المصرية من جهة وفى كوادر حركة الطلاب من جهة أخرى ـ لم يتم بشكل أو آخر استيعاب أو الاستفادة من هذه القدرات أو الخبرات النضالية المتراكمة ، وعدنا من جديد إلى نوع من افتقاد نقل الخبرة المتراكمة من جيل لآخر . ،وأعتقد ربما تكون هذه الندوات أو ما شابه فرصة للاستفادة من هذه الخبرات بما يفيد فى النهاية حركة الشباب من

الأجيال الأحدث منا سناً . .

هذه باختصاررؤوس موضوعات تتناول بعض الإيجابيات التى أحدثتها ححركة الطلاب في الواقع المصري آنذاك .

إضافة لها هناك عناصر سلبية أشير إلي بعضها بسرعة :

أولاً : الضعف الفكرى العام الذى أدى إلى ارتفاع النبرة الخطابية فى أطروحات حركة الطلاب ، وتدني مستوى التحليل السياسى الاقتصادى ، وغلبة روح العمل التحريضى على مجمل النشاطات داخل الجامعة وخارجها . وهذا الوضع شئ طبيعى جداً فى سن صغيرة لا تملك خبرات سياسية كافية . فكان من الطبيعى جداً أن عملية التحريض والإثارة كانت هى الغالبة على أطروحات حركة الطلاب ، وكانت نتيجة ضعف الواقع التنظيمى الذى منع نقل وتطوير وترشيد خبرة حركة الطلاب فى اتجاه أكثر إيجابية مما كانت عليه .

ثانياً : العجز عن تجسيد فكرة الالتحام بالجماهير الشعبية . نحن رفعنا شعار الالتحام والارتباط بالشعب والطبقات الكادحة فيه ، لكننا فشلنا ـ وهذا أيضا شئ طبيعى ـ لأن الآن عندما ينظر الإنسان بعد ما مر نحو ربع قرن من الزمان حول هذه النقطة بجد أنه كان شعاراً من الصعب تحقيقه . فليس منوطاً بمجموعة من الطلبة مهما كانت قدراتهم وإمكانياتهم أن يحققوا الالتحام بين وعى طليعة سياسية وبين قاعدة جماهيرية ، وإنما هذه هى مهمة الحزب النضالى الثورى التى لم تتحقق حتى الآن . وبالتالى فهى سلبية لا تحاسب عليها حركة الطلاب وحدها .

ثالثاً : عجز الحركة الطلابية عن بناء مؤسسة تنظيمية ذات صبغة استمرارية دائمة

تصمد لعناصر الضغط ومحاولات التصفية المستمرة . وهذه نقطة ملحوظة . نحن فشلنا في خلق مؤسسة ذات طبيعة تقدمية داخل الجامعة . حاولنا عن طريق نادى الفكر الاشتراكى وعن طريق أشكال أخرى . ولكن أتصور الآن إذا أتيح لى أن أتكلم فى هذا الموضوع أن نقطة الضعف الأساسية أننا أهملنا فى جانب من نضالنا العملى النقابى المحض . . بمعنى أن الطالب كما هو عنصر وعى سياسى ، أيضا له مطالب نقابية وله احتياجات فى الجامعة ، ويعانى من مشاكل الحصول على المراجع ومشاكل الحياة والمدنية الجامعية . بقدر رفيع من الاستعلاء اعتبرنا أن هذه المطالب لا يليق بنا أن نتبناها ، وأنه ليس معقولاً ونحن ننادى بحرب التحرير الشعبية أن ننادى بعد ذلك بكراس وملزمة ومثل هذه الأشياء . طبعا الزملاء فى الحركة الإسلامية كانوا أذكى منا واستطاعوا أن يمسكوا هذا الخيط ويصلوا فيه إلى نتائج إيجابية ويخلقوا فيه روابط حقيقية مع القاعدة الطلابية . نحن أغرتنا القوة العددية وحالة الانتعاش السياسى التى كانت موجودة بأن نظل نطرح قضايا ذات إطار سياسى رفيع المستوى ، ونسينا أن السياسية فى النهاية هى مطالب الجماهير الشعبية البسيطة ، وأن مشكلة طالب يمكن أن تكون أنه غير قادر أن يأتى للجامعة، أو لا يملك إمكانية أن يجد مكاناً يجلس فيه ، أو يشترى كتاباً غالى الثمن . وبالتالى ألفت نظر زملائنا من الأجيال الأحدث إلى ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع . وليس عيباً أبداً أن المناضل السياسى يتبنى القضايا النقابية . بالعكس ، هذا شئ مهم جداً لأن السياسة ليست صراعاً فى المطلقات . . قد نكون اعتقدنا فى فترة أن السياسة هى النضال من أجل قيم عليا ــ وهذا شئ صحيح ــ ، لكن هذه القيم عليا لها وجودها فى الواقع الذى تجسده المطالب النقابية فى الجامعة وفى المؤسسات الشبيهة . وبالتالى كان أحد عناصر السلبيات التى نعانى منها ــ ربما حتى الآن ــ هو غياب البعد النقابى فى

نضالنا وعجزنا عن اكتساب قاعدة جماهيرية حقيقية فى فترات الركود . . لأنه فى فترات المد لم تكن هناك مشكلة . كنا ننظم مظاهرة فيخرج عشرون ألفا أو ثلاثون ألفا . تدعو لاعتصام فتستجيب الجامعة كلها . لكن قيمة العمل النقابى أنه يكفل لك قاعدة مستمرة حتى فى حالات الركود وضعف العمل السياسى عامة . فهذه أيضا من السلبيات ، أننا فى إطار حركة الطلاب كنا نلتقى معا ونتجمع معا . . نتزاور معا . . لكن لم نخلق إلى حد واسع صلات ذات قيمة حقيقية بالقاعدة الجماهيرية . وأتحدث هنا أيضا عن فترات الركود لأنه فى فترات المد لم تكن هناك مشكلة . كان ممكن جداً أن تكون العلاقات واسعة جداً . . لكن من الطبيعى أن حركة الطلاب هى فى النهاية مرهونة بسن معينة وبظروف بقاء الطالب داخل الجامعة . كان من الواجب أن يتم بناء مؤسسات عديدة داخل الجامعة تكفل ضمانة استمرارية مد الحركة الطلابية فى حالة خروج الأجيال الأكبر منها وانتهاء دورهم داخل الجامعة .

هذه بصورة أو بأخرى بعض السلبيات . وأيضا العجز عن إيجاد قنوات للحوار مع باقى الاتجاهات السياسية خارج التيار اليسارى مثل الاتجاهات الإسلامية . وأشير فى هذا المجال وهذه خبرة مكتسبة مفيد جداً أن ندركها ، إلى أن الطريقة الأساسية التى اعتمدت عليها السلطة فى تفتيت حركة الطلاب فى فترة من الفترات كانت هى إيقاع الفتنة بين الاتجاهات المختلفة داخل حركة الطلاب . وقد اعتمدت بشكل واضح ومرجعى فى هذا على المشاهدة العلنية والخبرة المباشرة ، ثم كتاب كتبه زميل كان معنا فى كلية الهندسة اسمه وائل عثمان ، بعنوان « آراء حرة » ، يحكى فيه بالتفصيل الممل كيف سعت السلطة إليهم عن طريق الإيحاء بأن حركة الطلاب حركة معادية للدين . فتم توجيه وتجميع قوى طلابية إسلامية لمواجهة المد اليسارى والاشتراكى داخل الجامعة . ويحكى وائل عثمان

فى كتابه بالتفاصيل كيفية وحدود الدور الذى لعبه سيد مرعى ومحمد عثمان إسماعيل ولجنة التنظيم داخل جهاز الاتحاد الاشتراكى ومباحث أمن الدولة ورواد الشباب وبعض ـ أو العديد ـ من الاتحادات الطلابية التى كانت تهيمن عليها أدوات السلطة ، وكيف أنها سعت لبناء تنظيم يرتدى ثوب الإسلام لمواجهة المد اليسارى والاشتراكى داخل الجامعة . . بمعنى أن السلطة فشلت فشلاً ذريعاً فى خلق قاعدة طلابية موالية لها تواجه المد العالى لحركة الطلاب المعارضة داخل الجامعة . فبدأت تلعب لعبة الوقيعة ما بين الأطراف القيادية لضربها عن طريق هذا إسلامى وهذا يسارى وهذا مسيحى وهذا شيوعى وهذا ناصرى . وللأسف الشديد أن هذا الطريق أضر ضرراً جسيماً بالمبادئ العامة لمطالب حركة الطلاب ، ولو عاد بنا الزمن لكنت أتمنى أن نكون أكثر وعيا ، وأن ندرك جميعا أيا كانت اتجاهاتنا السياسية يساراً أو يميناً . . مسلمين أو أقباط . . اشتراكيين أو رأسماليين . أن هناك حد أدنى للنضال الديموقراطى داخل الجامعة وفى المجتمع ينبغى أن نتفق عليه ، وإلا سندفع جميعا الثمن .

ويتكرر الآن بصورة أو بأخرى تجربة الشباب فى بداية السبعينات . . لكني أظن وأتمنى أن تكون الأجيال الجديدة أكثر ذكاءً ووعياً ، وأن تفوت الفرص على محاولات الوقيعة بين الاتجاهات السياسية فى الجامعة وخارجها ، وأن تدرك أن الصراع من أجل مصير الإنسان فى مصر هو صراع يهم كل الاتجاهات السياسية . والنضال من أجل الديموقراطية قضية لا ينبغى التفريط فيها . . لأن أول من يدفع ثمن غياب الديموقراطية باستمرار هو اليسار وليس الآخرين فاليسار أول من يدفع ودائما تكاليف غياب الديموقراطية . . وبالتالى لا خوف على الإطلاق ولا حرج من الدفاع عن الديموقراطية . لأن الديموقراطية سلاح الجميع ، وهى سلاح الاتجاهات الاشتراكية واليسارية قبل أن

تكون سلاحا لأى طرف آخر .. ومن هذا المنطلق أعيد التأكيد على قيمة أن يتفق الجميع في معركة النقابات المهنية الحالية ، وفى معركة الأحزاب السياسية الحالية ، على الدفاع عن كل منظماتنا الديموقراطية أيا كانت طبيعة المهيمنين عليها . لأنه بطبيعة المنظمات الديموقراطية ستكون الآن فى يد فئة وغداً فى يد فئة أخرى . ولكن الحفاظ على الأسس الديموقراطية للصراع كفيل بأن يطور وأن ينمى وعينا ، وأن يقوى صفوف الجميع بما فيهم اليسار المصرى والاتجاهات الأخرى . وحينما تغيب الديموقراطية يدفع الجميع الثمن . وقوى القمع والبطش لا تفرق بين يسار أو يمين . وفى هذا الإطار سأحكى تجربة خاصة جداً ربما تلقى ضوءاً على الموضوع . بعد ما يقرب من عشرين سنة من حركة الطلاب ، وفى ذروة صراع السلطة ضد الاتجاهات الإسلامية قدمت طلبا للحصول على ترخيص بإنشاء مؤسسة للنشر والطباعة ، لكن جهاز الأمن اعترض ، و قال لى الضابط المسئول : « لا تظنوا أننا أغلقنا ملفاتكم .. ملفاتكم مفتوحة ولكم وقت . . لكن الموضوع ليس وقته الآن ! » .. وهذه التجربة أكدت لى بشكل عملى ملموس أن هذه السلطة القمعية لا تفرق بين يسار أو يمين . . بالنسبة لها فى النهاية كل معارض هو خصم الآن وغدا . . فسلاحنا الأساسى فى هذا الصراع هو الديموقراطية . الديموقراطية فيما بيننا ومع الآخرين ، وأذكر فى النهاية أن شعار حركة الطلاب فى ١٩٧٢ كان **« كل الديموقراطية للشعب . . وكل التفانى للوطن »** . وأعتقد أنه مازال شعاراً صالحا للنضال حتى الآن .

المناقشة

١ .هاني الحسيني

(عضو لجنة الدفاع عن الطلبة المعتقلين عام ١٩٦٨ وأمين اتحاد الشباب التقدمي بحزب التجمع سابقا)

١٩٦٨ ــ للحقيقة ــ كانت حدثاً هاماً جداً فى تاريخ هذه الحركة الطلابية ، وكما عبر بحق د. أحمد عبد الله فى كتابه القيم عن الحركة الطلابية المصرية إحدى القيم التى تمثلت فى ١٩٦٨ هو أنه لأول مرة يخرج من كانوا يسمون « بأبناء الثورة » على طوع النظام . هذه هى الحقيقة لعام ١٩٦٨ أيا كان تقييم البعض منا لهذه الحركة . لكنها تظل أنها بداية حقيقية أو تواصل بعد انقطاع لتاريخ طويل لهذه الجماعة من أبناء الوطن ، وهم طلاب الجامعات والمدارس الثانوية . والحركة الطلابية تميزت تاريخياً بارتباطها دائماً بالثورات الوطنية وبالملابسات التاريخية الوطنية فى تاريخ مصر فى هذا القرن . ولنا أن نتذكر فقط أن ثمة أحداثاً طلابية وقعت سنة ١٩٠٦ وفى ١٩٠٨ وكان فى ذلك الوقت الدور البارز للحزب الشاب ، الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد . كان ذلك فى أعقاب الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ . . أى بعد مرور ما يزيد على ربع قرن . الدور الأساسى الثانى الملموس للحركة الطلابية كان سنة ١٩١٩ ، وكان ذلك بعد الحرب العالمية الأولى . الدور الثالث أو الحركة الثالثة الهامة فى تاريخ الحركة الطلابية سنة ١٩٣٥ ، وهذا كان فى الفترة التى كانت فى أعقاب التحركات الوطنية والديموقراطية فى تلك السنوات من بعد سنة ١٩١٩ وانتهاء بسنة ١٩٣٦ . ثم الحركة البارزة مع تأسيس أول مؤسسة قيادية قومية فى الحركة الوطنية وهى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال فى سنة ١٩٤٦ . ثم المشاركة فى النضال الوطنى ضد جنود الاحتلال

سنة ١٩٥١ ، وما تلى ذلك من ثورة فى ١٩٥٢ . ولذلك ١٩٦٨ أيضا تأتى كجزء من هذه السلسلة فى ظل أزمة وطنية كانت آخرها أزمة ١٩٦٧ . ولا يسعنى إلا أن نتذكر شهداء الحركة الطلابية الذين سقطوا عبر نضالها الطويل . ونأمل أن يكون هؤلاء الشهداء فعلا قد سقطوا من أجل تحقيق أهداف هذه الحركة الوطنية ، ونأمل ونحن فى ١٩٩٣ أن تستعيد الحركة الطلابية مكانتها ، وأن تستعيد دورها كجذوة متقدة وحقيقية لنضال الشعب المصرى ، وجزء أساسى من النضال الوطنى والديموقراطى فى هذا الوطن .

د. علاء غنام

(طبيب أطفال ومن نشطاء طب المنصورة فى السبعينات)

لم أدرك كيف انفجرت الحركة فى السبعينات بالتحديد . أى لم يجب أحد على هذا السؤال الذى ما زال داخلى . . بمعنى ماذا ؟ أنه كان النظام فى أزمة حقيقية . . أزمة وطنية وأزمة ديموقراطية لكن هل حركة الطلبة فى السبعينات كانت من رحم الحركة الاشتراكية المصرية فى الأربعينات وفى الخمسينات ؟ واضح أن الإجابة كانت لا . . إذن هل هذه الحركة ابن غير شرعى للناصرية ؟ لا توجد إجابة على هذا . .

والشعار السياسى الذى طرحته هذه الحركة كان راقياً جداً عندما تبنت حركة الطلبة فى السبعينات حرب الشعب طويلة الأمد . هل كان هذا بتأثير الثورة الفلسطينية فى ١٩٦٥ أم كان نضوجاً ورقياً فى وعى قيادات هذه الحركة متجاوزاً لجموع الطلبة فى الجامعة فى هذه الفترة ؟ هذا السؤال أيضا يحتاج إجابة . أنا شخصياً اقتناعى الخاص أننى حتى حركة الطلبة فى السبعينات أو حتى ١٩٦٧ بشكل غير منتظم أو غير علمى كنت أعتبر نفسى ابنا لعبد الناصر ، ولكنى كنت أول المتمردين على الناصرية بعد ١٩٦٧ مباشرة ، وتبلورت داخلى المسألة لحين ما وجدت نفسى فى ١٩٧٣ داخل السجن وأنا

فعلا متبنى أطروحات تكاد تقترب من الماركسية العلمية بالكامل . وأعتقد أن د. أحمد عبد الله ــ وإن كان أبرز زعماء الحركة فى هذه الفترة ــ موقفه كان مشابهاً . . أى أعتقد أنه لحين ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ هو نفسه ، وهو دارس للاقتصاد والسياسة ، لم يكن متبنى لفكر متبلور . . إنما قضية « الوطنية » هى التى حركت أغلب قيادات الحركة فى هذه الفترة .

أ. هانى الحسينى :

فى ١٩٦٨ . لفت نظرنا شئ مهم جداً ــ وأعتقد أنه مرتبط بسؤال د. علاء ــ أنه فى فبراير ١٩٦٨ خرجت حركة شبه عفوية ، ولكنها ليست عفوية تماما . لم تكن حركة مستقلة فبراير ١٩٦٨ . الاستقلالية الحقيقية وقعت فى نوفمبر ١٩٦٨ . لكن فى فبراير ١٩٦٨ ــ وأنا واحد من قادة فبراير ١٩٦٨ ــ لم تكن حركتنا تلقائية تماما . . كنا فعلا نحمل شعارات وطنية ، ولكن كانت تلك أيضا شعارات النظام القائم وخصوصاً منظمة الشباب ، المؤسسة التى ساندت تلك الحركة أو عاونتها .

أ. وصاح أسعد

(من نشطاء كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة ومؤلف لكتاب عن تاريخ الحركة)

فبراير ١٩٦٨ ، من خلال الجهد المتواضع فى هذا الكتيب الذى نشرته ، كانت حركة تعبير عن رد فعل عفوى عام حدث نتيجة لصدور أحكام الطيران . وكانت بداية تفجرها أساساً من حلوان ــ بشكل أساسى من مؤتمر منظمة الشباب أو معهد الشباب ــ وتحول هذا التفجر بشكل عفوى فى المصادمة غير المخططة من قبل النظام مع قسم شرطة حلوان إلى تبادل لقذائف الطوب وقذائف الحجارة . وهذا الذى أدى إلى تصاعد التطوير

فى هذا الوضع . ومن حلوان انتقلت الحركة إلى جامعة القاهرة وعين شمس ، وتفجر بشكل رئيسى موضوع أساسى وهو أحكام الطيران وموضوع فرعى – فى تقديرى – وهو موضوع الحريات العامة فى مصر ، وكان تفجره بشكل أساسى منطلقا من الأزمة الوطنية الحديثة . . الصدمة الشديدة التى واجهها جمهور الطلاب من الحصار ورد فعل النظام تجاه الهزيمة بمجموعة من الأحكام الهزيلة . . حركة فبراير ١٩٦٨ فى المحصلة النهائية لم تخرج ولم ترفع شعارات معادية بشكل جذرى لسياسة النظام بشكل أو بآخر . . لا على مستوى الوطن ولا على مستوى الديموقراطية . مطلب حريات عامة . . مطلب عام . المطلب الوطنى كان منحصراً بشكل رئيسى فى إعادة محاكمة ضباط الطيران ، وتم استيعاب هذه الحركة ، واستخدم النظام هذه الحركة – يمكن خلافاً مع د . أحمد عبد الله فى حديثه – النظام استخدم هذه الحركة أساساً ليس كاستجابة لمطالبها أو كما قال استجابة لمطالبها ببيان ٣٠ مارس . لكن فى تحليلى الخاص بيان ٣٠ مارس كان بشكل رئيسى شكلا من أشكال الوثائق المستخدمة فى إدارة الصراعات الداخلية داخل النظام ، وهذا هو الذى تم تماما : تغيير وزارى شامل جاءت وزارة الأساتذة فيما بعد . هذا كان الوضع فى فبراير ١٩٦٨ ، والنظام سمح بمؤتمر وسمح بحوار . رأس النظام عبد الناصر فى هذا الوقت قابل الطلاب بشكل واسع تماماً وأدار حواراً واسعاً مع القيادات الطلابية فى هذا الوقت . هذا يختلف تماماً من وضع نوفمبر ١٩٦٨ . وضع نوفمبر ١٩٦٨ أن الشعار المطروح كان أساساً شعار مواجهة النظام . نقطة التفجر عفواً . . بداية نقطة التفجر غير متوقعة . نقطة التفجر نقابية محدودة تماماً . فى مدرسة فى المنصورة (مدرسة الهلال الثانوية) حول قانون خاص بالتعليم ، قانون يمكن أن تناقش بنوده – يمكن أن تكون صحيحة من عدمه إذا بعدنا عن سخونة الأحداث

والظرف العام فى تلك اللحظة إلى أن تفجر إلى مظاهرات . تفجرت المظاهرات إلى مواجهة ومن خلال المواجهة التى تمت فى المنصورة انتقلت المسألة إلى هندسة الاسكندرية بشكل أساسى . وهناك تم طرح قضية الديموقراطية من منظور مواجهة النظام السلطة ، وتفجرت الأحداث بشكل عنيف تماماً وواجهها النظام بشكل عنيف تماماً . . يمكن وصلت إلى حد نزول قوات من الجيش . وصلت إلى حد طرح قضية التجسس فى هذا الوقت ، قضية الحداد الذى قبضوا عليه واتهموه بالمشاركة فى الأحداث فى محاولة لوصم هذه الحركة ـ عكس فبراير ١٩٦٨ ـ وصم هذه الحركة بالعمالة بشكل أو بآخر . هذا بجانب ما تم مع قيادات الحركة فى نوفمبر ١٩٦٨ من الاعتقال ، من التجنيد الإجبارى الذى تم لعدد من قيادات هذه الحركة الطلابية ، كنا بصدد المواجهة المباشرة مع الحركة الطلابية ، مواجهة عنيفة ما بين الحركة الطلابية وبين النظام . . إلا إنها كانت بالفعل حركة بداية خارج إطار النظام .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان النظام قد استنفذ أغراضه فى الاستفادة من الحركة الطلابية والتفجرات الجماهيرية فى تصفية صراعاته الداخلية . ويمكن حتى الشعارات الجماهيرية التى رُفِعت فى المظاهرات كانت ذات مدلول فى هذا . إن فبراير ١٩٦٨ كانت كل شعاراته حول حرية الوطن والتحرير والديموقراطية . . . الخ . لكن أول مرة يرفع شعار فى الشارع المصرى فى مواجهة رمز النظام ـ الذى هو عبد الناصر ـ تحديداً رُفع فى نوفمبر ١٩٦٨ . وهذا لم يحدث بحال من الأحوال فى فبراير ١٩٦٨ .

وهناك تعقيب أيضا على كلام د. أحمد عبد الله الخاص بالدور الاجتماعى للحركة الطلابية . فقد أشار فى حديثه إلى تراجع هذا الدور وأنه لا يشكل أكثر من ٢٠٪ من

الأدوار التى لعبتها الحركة الطلابية ، والتى كان أبرزها الدور الوطنى والديموقراطى ، وانحصر بشكل أساسى فى عدد من الأحداث المحدودة سواء التوجه العمالى من ناحية ، أو سواء رفع بعض الشعارات الاجتماعية مثل الحد الأدنى والحد الأقصى للأجور ، أو سواء الإيديولوچية الاجتماعية التى تبناها عدد التى تبناها عدد من قيادات هذه الحركة .
وأنا الحقيقة خلافى مع د. أحمد ليس فى هذا التقييم لأنه بالتأكيد الحركة الطلابية تعمل فى غياب أى مصلحة اجتماعية مباشرة حقيقية للطلاب بطابعهم الانتقالى وهم غير مؤهلين وغير مطلوب منهم أن يلعبوا دوراً نشطاً أو يلعبوا دوراً محدوداً فى مسألة الصراع الاجتماعى . ولكن الملمح الاجتماعى ـ الطبيعة الاجتماعية للطلاب ذاتهم ـ مسألة فى تقديرى يجب الوقوف عندها بشكل أساسى . . لأنه بالتأكيد الدور الوطنى أو الديموقراطى وهذه الأدوار التى تم لعبها وسط الحركة الطلابية لا نستطيع أن نعزلها عن المصلحة العامة لأغلب جمهور الطلاب ويمكن المقارنة فى هذه الفترة بين الجامعة المصرية وبين الجامعة الأمريكية على سبيل المثال . فى الجامعة المصرية والمدرسة الثانوية المصرية خلال بدايات السبعينات ٧١ ، ٧٢ ، ٦٨ وما قبلها ـ بدءاً من المدرسة وليس من الجامعة ـ كان هناك الانتشار الواسع للمطالب الطلابية والوطنية والديموقراطية . وهذا لم يكن موجوداً داخل الجامعة الأمريكية ، المؤسسة التى لها نفس العمر والتاريخ داخل المجتمع المصرى بشكل أو بآخر ؛ حيث كانت المسألة محصورة فى بعض الأسر ومحصورة فى الصفوة بشكل أساسى . هذا بالتأكيد لأن هناك تركيبة اجتماعية غالبة داخل الجامعة المصرية لأغلب الجمهور الطلابى تجعل له مصلحة اجتماعية واضحة هى بشكل أو بآخر أساس للأدوار الوطنية والديموقراطية التى لعبتها . وأهمية الوقوف هنا ليست فقط للتاريخ ، ولكن هى أيضا فى مجال محاولة استشراف المستقبل مع ما يتم

اليوم من الخصخصة فى مجال التعليم ، مع ما يتم من حالات التصفية التى تتم للتعليم العام وتراجع عديد من أبناء الطبقات الاجتماعية المتوسطة الكادحة عن دخول هذه الأماكن .

د. إيمان يحيى

(من نشطاء كلية طب المنصورة فى السبعينات) .

أحب أن أبدأ بالسؤال الذى طرحه د. علاء غنام . هذه الحركة الطلابية كانت بنت من ؟ هل بنت النظام ؟ عل بنت حركة يسارية قبل ذلك بحكم توجهاتها بعد ذلك ؟ أم بنت حركة ديموقراطية أو اتجاه ديموقراطى كان فى المجتمع ؟ .

أنا رأيى أننا إذا وضعنا أنفسنا فى إطار هذا السؤال سنكون غافلين عن أشياء كثيرة جداً . . هناك ضروف موضوعية فى مصر أتت بهذه الحركة . . بالغة التعقيد . نستطيع أن نوجزها فى كلمة واحدة : « الهزيمة » . الحركة الطلابية كانت ابنة الهزيمة ، ولا يوجد هناك فضل لتيار سياسى أو أفكار سياسية مسبقة فى توليد هذه الحركة . وبالتالى هذا يجرنا لسؤال آخر وسؤال هام . هل الحركة الطلابية بدأت من موقع الاستقلال عن النظام أم من موقع داخله ؟ أنا اعتقد أن الحسم بنعم أم لا يجعل المسألة غير موضوعية . . لأن فعلا الحركة الطلابية بدأت من داخل الشعب الذى كان مقرا بالذات ــ ذاته ــ أى الشعب المصرى الذى لم يسحب تفويضه لعبد الناصر بعد حرب ١٩٦٧ ، ولكن أعطى له التفويض أن يستمر ولكن بشروط . ولذلك الانتقال من موقع التبعية إلى موقع الاستقلالية كان بالتدريج ، وكان عبر ممارسات عديدة . وأحد الأشياء التى ذكرها الزميل رماحتجربة المنصورة ـ من الاصطدام بقوات الأمن ـ ثمتجربة الإسكندرية و تجربة القاهرة ؛ حتى وصلت إلى الشكل الذى أصبح فيه تناقض ظاهر أيام بداية فترة السادات .

ولذلك فهى حركة داخلة فى شكل جنينى وتتطور . . تتطور حتى تصل فى النهاية إلى تعبير لحركة شعبية مستقلة عن إطار السلطة من عام ١٩٥٢ . وإذا كانت هناك ذكريات للحركة الطلابية أحب أن أتذكر المنصورة عندما انفجرت الحركة الطلابية بسبب مشكلة نقابية ، التى هى طلاب المدارس الذين يعيدون سنوات الثانوية فى مكانين مدرسة منهما هى مدرسة « الهلال » التى كان يوضع فيها رديف الطلاب الذى يمكث أربع سنوات و خمس سنوات ، ومعهد أزهرى كان متأثراً بهذه القوانين . ويمكن كانت الشعارات غير ناضجة لدرجة أنه مثلا كان أحد الشعارات أن ناسا يسيرون فى الشارع ويقولون « أقبل أقبل يا ديان » ! أى بدلاً من « أقبل يا روميل » فى الأربعينات تصبح « أقبل يا ديان » . لكن بعد ذلك في إطار التطور العام بدأت فعلا الحركة الطلابية يكون لها وجه وملامح متواجدة . .

نقطة أخرى أعتقد أننا لابد أن نتعرض لها وهى ارتباط الحركة الطلابي بالنضال الديموقراطى العام فى المجتمع ، وهذا يمكن يقال على مسألة النقابات المهنية . . الارتكاز معها فى السبعينات وأوائل السبعينات ، والمثقفين وحركة المثقفين . الحركة الطلابية فعلا كانت رأس رمح لحركة جديدة داخل هذا القطاع من الانتلجنسيا والمثقفين فى المجتمع . وهنا يبرز سؤال خلافى أيضا : لماذا حينما نتكلم عن الحركة الطلابية دائما لا نذكر ١٩٧٧ هل لأن انتفاضة ١٩٧٧ كانت أعم من الانتفاضة الطلابية ؟ أنا اعتقد أن عام ١٩٧٧ هو ذروة الحركة الطلابية رغم أن هذه الانتفاضة لم يكن موجود الشق الوطنى بشدة . كان موجود الشق الاجتماعى داخلها . ولذلك الحركة وصلت لداخل العمال ، ولو حللنا حركة ٧٧ نجد الحركة الطلابية كانت مجرد بروفات للخروج للشارع ، وأن نفس الشعارات التى رفعت فى ٧٧ هى نفس الشعارات التى كانت قبل ذلك تقال فى

الجامعة خلال مراحل مختلفة ، بل بالعكس إن بعض المظاهرات والانتفاضات بدأت من الجامعة وخرجت للشارع فاتحدت مع الناس . وبالتالى فى رأيى أن ٧٧ لابد أن تأخذ حقها من التقييم كذورة لنضال حلقة من حلقات النضال الطلابى .

أما عن العلاقة بين القوى الطلابية والتى تعرض لها المهندس أحمد بهاء شعبان ، وخصوصاً العلاقة بين التيار الاشتراكى والتيار الناصرى فأعتقد أن نقطة فاصلة فى حجم هذه العلاقة هى سنة ١٩٧٥ أو ١٩٧٤ . . لأن فى هذه السنة بدأ يقتنع الناصريون بفكرة التعددية . قبل ذلك كانت كل الحوارات معهم تصطدم عند نقطة واحدة هى الغزو من الداخل ـ الإصلاح من الداخل ـ فى الاتحاد الاشتراكى . وفى أحد لقاءات ناصر فى صيف ١٩٧٤ أو ١٩٧٥ تم فعلا الاقتناع وبدأ يطرح بينهم مسألة التعددية وحقهم فى التنظيم المستقل بعد أن أسفر النظام الجديد عن وجهه وأصبحوا بالفعل خارجه .

أما الذى يثير التأمل فهو جماعات شباب الإسلام . وأنا لا أعتبرهم الحركة الإسلامية لأن جماعات شباب الإسلام كانوا فعلا مصنوعين داخل الجامعة ولجأ إليهم النظام أيام محمد عثمان إسماعيل . وعلوى حافظ أيضا كان له دوراً فى هذه المسائل . وأحمد كمال أبو المجد . فهناك دور . . عمل جماعات ترتدى الزى الإسلامى . . رغم أن التيار الإسلامى لم يكن قد بدأ فى النزول وبدأ يمارس دوره لمواجهة الحركة الطلابية . ولذلك كان شيئاً غريباً جداً كل ما تطرح أنت مطلبا هم يطرحون العكس . . أى من غير أى نقاط اتفاق أو اختلاف أو نحو ذلك . تصدر صحيفة فيذهب يتعامل مع الإدارة ، والمباحث من أجل أن يغلق الصحيفة . فلذلك أنا أعتقد أن تجربة شباب الإسلام لابد أن نبعدها قليلاً عن التيار الإسلامى . . لأن ذلك يعتبر افتئاتاً عليه . لأن التجربة مصنوعة أكثر من كونها تجربة طبيعية لهذا التيار . ويمكن نتذكر مثلا فى ١٩٧٧ هذا التيار كان

مثلا يقول لك عند إصدار بيان إن مجانية التعليم والتعيين للخريجين من مبادئ الشيوعية الهدامة . . انظر اليوم ماذا يطرحون ؟ هناك بلاشك فارق .

فى النهاية مسألة الملف الموجود هذا مسألة جيدة جداً . ولكن أنا أرى بحكم أن اليوم هناك إمكانيات الميكروفيلم الموجودة فى الصحف وإمكانيات الاستنساخ أننا نحاول فعلاً أن نصدر صحف هذه الفترة ويتم عمل ملف أعم وأشمل . . المسألة الثانية أننى أشعر باتجاه عام أننا كطلاب ـ طلاب نتخرج ونعمل مهنيين ـ نتعاطف مع قضية النقابات المهنية . وبالتالى أطرح عليكم مسألة أن يصدر من هذه الندوة قرار أو توصية أو بيان موقع من الحاضرين بالوقوف مع النقابات المهنية التى هى مرتبطة بالحركة الطلابية بشكل كبير . . لأن الطلاب يتخرجون فلا يعملون عمالاً أو فلاحين بل يتخرجون ليعملوا مهنيين . وتكون فرصة جيدة لإثبات أن الحاضر مرتبط بالماضى .

أ. سعد صادق (خبير كمبيوتر)

عندى ثلاث نقاط أركز عليها :

النقطة الأولى . . بخصوص كتابة تاريخ الحركة الطلابية . الانطباع الذى أخذته اليوم من كل الكلام الذى قيل أن الحركة الطلابية فى مصر هى حركة « ذكورية ـ مسلمة ـ بحرى » . أى أن الطالبات فيها غير مذكورات نهائياً ومهمشات . لكن فى الحركة الطلابية تجد المرأة تلعب دوراً وتبرز . اليوم لم يذكر شئ عن المرأة المصرية . . كأنها مهمشة أو أنها شبح . فأرجو أنه فى هذه النقطة عندما نعيد الكتابة أن نعطى كل ذى حق حقه .

النقطة الثانية . . أحب أن تؤخذ فى الحسبان عندما نتكلم عن وضع اليسار فى

الجامعات المصرية . عندما نشأ اليسار فى مصر نشأ سنة ١٩٢٠ . الإخوان المسلمون نشأوا سنة ١٩٢٨ ، ونفاجأ اليوم بشئ غريب جداً بشأن اليسار . فهناك فرق بين أنك تصاب بنكسة ، وأنك تصاب بهزيمة مدوية . اليسار فى مصر أصيب بهزيمة مدوية فى الجامعات المصرية لسبب غير مفهموم . . بعد نشاط قوى جداً فى الخمسينات والستينات والسبعينات ، وبغض النظر عن أن الحكومة تؤيد تياراً غير تيار اليسار حيث يبقى اليسار قائماً ، أن الذى حدث هنا فى مصر تجربة غريبة جداً ، حدث انهزام غريب جداً ووجدنا تيار اليمين المحدود يطور نفسه مثلاً فى النقابات . . فلم يكن يؤيد النقابات ، وكان يقول هذه تنظيمات شيوعية ، لكنه ظهر عندما تعلم من درس الثورة الإيرانية أن هذه النقابات يمكن أن تستغل فى النشاطات فبدأ يحترمها وبدأ يستولى عليها . والآن يجعل اليسار يدافع ضد القانون الذى سينزعهم . يدافع عنهم من أجل أن يبقيهم موجودين . أى طرح لفكرة ووسيلة يمكن أن يطور بها اليسار نفسه ، بحيث يعود مرة أخرى للجامعات؟ فكرة اليسار الإسلامى ؟ لماذا لا نتقدم بهذا الموضوع ؟ لماذا تقدمنا بخطى مترددية وفروض ضعيفة جداً فى هذا الموضوع ، وفى النهاية تركنا الساحة لهم وجلسنا لا نعرف أن نفعل شيئاً فى هذا الموضوع ؟ .

النقطة الثالثة والأخيرة . . موضوع أن الحكومة الآن تحاول أن تعمل شيئاً داخل الجامعة مثل تنظيم « حورس » . . تحاول به أن تضرب التيار الإسلامى . هل هذه الحركة يمكن أن تنفع أم لا ؟ هل يمكن أن نؤيدها أم لا ؟ الآن الأستاذ كان يتحدث عن المنصورة، وتجربة شباب محمد وشباب الإسلام . . جماعات شباب الإسلام ظهرت وعملت مع تأييد الحكومة واستطاعت أن تهزم اليسار . هل التجربة التي يعملونها الآن يمكن أن تضرب ؟ ، ثم كان يجب أن نحدد من هو عدونا ومن هو ومعنا ؟ هل نحن مع الحكومة

أم مع التيار الإسلامى ؟ .

بحكم خبرتنا هى حركة بنت نضال أو قوى سياسية فى المجتمع . أنا أرى أن الواقع عندنا أنه ليست هناك حركة مؤثرة بين الطلاب بل نشاط يستمد مقوماته من الحكومة بشكل أساسى ، وكانت معظم التيارات الطلابية الموجودة تيارات تنتمى لقوى سياسية ، بجانب بعض الأنشطة الطلابية التى يقوم بها الطلاب فى لحظات معينة مثل نشاط عملى من أجل مصالح نقابية يأتى من أفراد عاديين جداً مهتمين بالمشكلة أو أثرت فيهم فكانوا يقومون بهذه الحركة رغم أن هناك خلافات بينهم . . إلا أنهم كانوا قادرين على نشاط يمكن أن يستمر فى الجامعة . وأنا يوم أن تعرفت عليهم كان أيام أحداث خطف الطائرة المصرية ١٩٨٦ . فظهر الشكل الذى هم قائمين به . قلت أرى الموضوع وهكذا ؟ وأذكر لونستون تشرشل أن نظرية حكمه كانت قائمة على الأغنياء ، فكان يواجه مسألة إتاحة الفرصة للاشتراكيين أو الشيوعيين لأنهم يأخذون بأيديهم الخطاب الاشتراكى أو الخطاب اليسارى وهو قائم على الفقراء بالأساس ، وهذا الخطاب بالذات بعكس خطاب الأثرياء البورجوازيين . وهذا ينعكس فى الحركة الطلابية عموما .

أ. أحمد بهاء كان قال كلمة ظريفة جداً . . عندما قال « لو عدنا إلى الوراء سنكون أكثر ديموقراطية » . المسألة فعلا أن الخطأ سيظل مستمراً إلى النهاية . أنا لا أرى له نهاية . . بمعنى أنه كل عام يأتى طلاب جدد ، فنقل الخبرة لهم مسألة صعبة ومسألة المرحلة السنية تحكم المسألة . مسألة حب الظهور والزعامة وهكذا . بالإضافة إلى أننا نحن أنفسنا رأينا الناس الذين قبلنا ، ورأيناهم كيف كانوا يعملون ؟ لكن لم يكن هناك

مثل يمكن اعتباره قدوة نضعه أمام أعيننا ونقول كان فلان يعمل كذا ، مسألة افتقاد القدوة . وأخيراً فإن الحركة الطلابية فى هذه الفترة الأخيرة يتقاسمها بشكل أساسى التيار الإسلامى واليسار بفئاته ما بين الشيوعيين والناصريين ، وحزب الوفد كان أقل التيارات تأثيراً . وبأمانة نحن حاولنا أن نعمل علاقة مع القوى الإسلامية فى قضايا محددة .

أ. أيمن منير :

(أمين طلاب محافظة الجيزة ؛ الحزب الوطنى وطالب بكلية الحقوق ـ جامعةالقاهرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً أعيب على الحركة الطلابية فى الوقت الحديث . أنا رأيت بنفسى هذا العام ، أو فى العام الماضى ، المظاهرة التى قامت من أجل القوات التى كانت فى السعودية وقت الحرب . أولا قاموا بتدمير بعض منشآت المدينة الجامعية . قاموا بتدمير بعض الأتوبيسات وبعض الممتلكات العامة . كانت هناك مظاهرة بعدها خاصة بالمبعدين . الطلبة الذين كانوا قد نظموها حرقوا علم إسرائيل . كان جميع الطلبة قد خرجوا فى مظاهرة سلمية . كانوا محميين من الحرس . . أى لم يتوجه أحد ناحيتهم . إنما الشئ الذى لم يعجبنى فعلا هو التعبير بالقوة ، المفروض أن هذا شئ يتغير . . إننا فى جو ديموقراطى حاليا . . هذا شئ . الشئ الثانى الذى أريد أن أعقب عليه . . الذى هو كلمة المهندس بهاء التى هى تقال داخل الجامعة ، وهى تحول الطلاب إلى أشياء أخرى مثل الرحلات والمسرح والطالب المثالى . أنا أريد أن أعرف هل هذه بالضبط ثقافة أم ماذا ؟ أى المسرح . . الطالب المثالى . . الرحلات . . هذه نوع من أنواع الثقافة أم نوع من أنواع العبث ؟ إذا كانت الثقافة هى أم السياسة . الشئ الوحيد الذى أحب أن أعبر عنه أن التعبير عن الرأى

فى أى ندوة مفروض يكون ديموقراطية فعلا . أنا عندما قلت جو ديموقراطى ، أنا لا أقول أن هناك ديموقراطية كاملة . . لأنه لا توجد ديموقراطية فعلا كاملة فى أى دولة على الإطلاق . . لكن الوقت الحالى أفضل من أوقات أخرى ، والدليل على ذلك أنه فى معرض الكتاب هذا العام كانت هناك ندوات حول مبارك والسادات وعبد الناصر فى غرفة واحدة . . الشباب الناصرى كان حوالى ثلثمائة شاب ناصرى ـ قالوا تعقيبا .. وأشياء كثيرة عملوها مثل التهليل وخلافه . . فكانوا يوقفون . . فلابد أن نقبل كل انتقاد . . نقبل الجيد والسيئ مثل ما يقولون . . فالذى أرجوه يا ليت فى الوقت الحالى فى الحركة الطلابية أن نقدر أن نسمع ، ونقدر أن نفهم ، ونقدر أن نتكلم . . لا داعى أن نتكلم فقط ! .

أ. رهام طه

(طالبة بكلية الإعلام ـ جامعة القاهرة)

أنا كنت أتفرج . . كنت فى رابع دور فى الكلية ، فكنت أطل على المشهد . . الصراع بين الجنود وبين الطلبة . فبالنسبة لتدمير الكلية أو تدمير السيارات ، أنا رأيت الجنود يأخذون مدافع رشاشة ، ويكسرون السيارات . غيرهم دخلوا الجامعة يكسرون أكشاك الأمن الخاصة بهم ، ثم بعد ذلك يقولون الطلاب هم الذين كسروها . أما بالنسبة لأن الطلبة يعبرون بالقوة فبالعكس . الطلبة لم يكونوا يبدأون برمى الطوب . . أى الجنود كانوا يبدأون برمى القنابل ، ثم بعد ذلك هم يردوا برمى الطوب . . وهذا ليس قوة بالمرة .

أ. حسين زيان

(من نشطاء كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة فى الثمانيات)

بسم الله الرحمن الرحيم . . الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على رسول الله

قبل كل شئ أتوجه بالتحية إلى شهداء الحركة الطلابية ، وإذا لم تخنى الذاكرة أذكر الشهداء عبد الحكم الجراحى وعبد المجيد مرسى وعمر شاهين وأحمد المنيسى وخالد الوقاد ، وغيرهم من شباب الحركة الطلابية . . وأحيى القيادات التاريخية للحركة الطلابية ، حسن ياسين ومصطفى موسى ود. محمد بلال وإبراهيم شكرى وأحمد حسين ود. مصطفى مؤمن . . الخ .

أتناول ثلاثة أدوار للحركة الطلابية فى عجالة . الدور الوطنى للحركة الطلابية . . واضح أنه فى تحركات الطلبة فى ثورة ١٩١٩ ، وواضح أيضا فيما يتعلق بمشروع القرش ورفع شعارات تتعلق بالمسألة الوطنية ، الذود عن الكرامة الوطنية التى استفزها مثلاً مستر صمويل هور وزير الخارجية البريطانى أو وزير المستعمرات البريطانية ، عندما قال ما معناه أن الشعب المصرى ليس على كفاءة للتعامل بدستور ١٩٢٣، أيضا تحركات الطلبة فى ١٩٣٥ التى أفضت إلى تحرك الزعماء الوطنيين والتى أفضت إلى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ثم الاستجابة الفورية لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ بتفاعل الطلبة فى المقاومة الشعبية الوطنية ضد الإنجليز فى القنال . وفى ١٩٧٢ المد الطلابى المطالب بالدخول فى الحرب مع اسرائيل . هذه النقاط تتعلق بالدور الوطنى .

فيما يتعلق بالدور القومى د. أحمد عبد الله ومهندس أحمد بهاء شعبان تناولا القضية الفلسطينية ، فيما يتعلق بالدور القومى أيضا للحركة الطلابية وقبلها مدى تفاعل الطلبة أو الاتحادات الطلابية مع الوحدة مع سوريا . وهذا جانب قومى فى أوائل الستينات تحت رئاسة حسن همام لاتحاد الطلاب ، وأيضا فيما يتعلق بمظاهرات الطلبة ضد التوجهات

الأمريكية لحسم الأزمة الخليجية الثانية . . وفى كلمة بسيطة أنا شاهد عيان على حركة الطلبة سنة ١٩٩١ . . هى حركة شريفة بريئة من اتهامات خطيرة جاءت على ذكر أحد الحضور . وفيما يتعلق بعلاقة الطلبة بالقضايا السياسية عموما ، الواقع أنه ما قبل الثورة وما بعد الثورة أن الطلبة كانت تعبر عن قوى سياسية جديدة . فيما قبل الثورة ، الطلبة عبروا عن مصر الفتاة والإخوان المسلمين والحركة الشيوعية . ما بعد الثورة عبروا عن قوى سياسية مغيبة وليست جديدة . عبروا عن الإخوان المسلمين والناصريين والشيوعيين .

فيما يتعلق بالعمل السياسى داخل الجامعة ، الأمر كان لا يستدعى قبل الثورة إقامة نوادى سياسية . . لأنه فى هذه المرحلة التاريخية كان الظرف مواتيا للطلبة أن يعملوا بالسياسة . ما بعد الثورة السلطة كانت تمارس مقولات أعتقد أنها مقولات خائبة تماماً . مسألة إذا دخلت السياسة من باب الجامعة خرج العلم من شبابيكها . . مقولات ممجوجة . الأمر تطور إلى أن العمل السياسى أصبح مقننا بفعل لائحة سنة ١٩٧٩ حيث جرمَ عمليا .

فيما يتعلق بالدور الاجتماعى ، الطلبة لهم مواقف كثيرة مع حركة العمال ، والأمر أوصلها إلى إنهم يشكلون تحالفاً سنة ١٩٤٦ ، وعلاقتهم أيضا بالعمال فى ١٩٧٧ . واضح طبعا علاقة الطلبة بالنقابات المهنية . . وأرى أن الأمر يستدعى أن يكون هناك تواصل ما بين الحركة الطلابية المصرية والنقابات المهنية .

والنقطة الأخرى التى أحب أن أشير إليها هى علاقة الطلبة بالشرطة . ما قبل الثورة كان ضباط القلم السياسى يتعاملون مع الطلبة تعاملا مشوبا بالحس الأمنى والحس الوطنى

من جانب ضباط القلم السياسى . ما بعد الثورة ضباط المباحث العامة أو ضباط مباحث أمن الدولة يتعاملون مع الطلبة بشكل راجع إلى أدبيات الخطاب السياسى فيما يتعلق بالطلبة . . إنهم يقولون أن هؤلاء الطلاب قلة منحرفة . . فى الوقت الذى وقف فيه الطلبة قبل الثورة مع ضباط الشرطة فى المطالبة بزيادة المرتبات سنة ١٩٤٨ و ١٩٥١ . هذا فيما يتعلق بالدور الاجتماعى والدور القومى والدور الوطنى .

وفيما يتعلق بالدور الديموقراطى للحركة الطلابية كان هناك وعى لدى الطلبة فيما يتعلق بالمسألة الدستورية ، وهذا قبل سنة ١٩٣٥ . أى كانوا يخرجون فى مواجهة الملك فؤاد ويقولون له « الدستور يا أفندينا » . أيضا موقف الطلبة فى أزمة ١٩٥٤ والمطالبة برجوع ، وإن كانت المسألة تأخذ حقها فى الدرس التاريخى – المطالبة برجوع الجيش للثكنات . ى ١٩٦٨ – ١٩٧٢ الأمر أفضى إلى بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ، واحتواء النظام لبعض العناصر الطلابية النشطة . وفى ١٩٧٢ أفضى إلى المنابر ، ثم التجربة الحزبية .

وهناك إضافة بخصوص الدور الوطنى نقطة تتعلق بالدور الوطنى لواحد مثل د. مصطفى مؤمن ، وهو من القيادات الطلابية الإخوانية النشطة فى الحركة الوطنية المصرية ما قبل الثورة ، وأنه لعب دوراً خطيراً جداً جداً ، وسافر إلى الأمم المتحدة ودافع عن القضية المصرية .

وأخيراً لابد من إيجاد نوع من الدراسات تكشف ما السر فى أن الحركة الطلابية فى تصاعد ، ثم خطها البيانى ينزل فى شكل مخيف ، وهذا واضح فى ما قبل الثورة وما بعد الثورة . وهناك نقطة أيضا تتعلق بالاستفادة من تجارب الحركة الوطنية . أنا أرى أنه إذا

كانت قيادات ما قبل الثورة الوفد تكفل بهم « مثل د. محمد بلال وغيره » فأعتقد أن القيادات التاريخية ما بعد الثورة قبل أن يوجهوا نصائحهم إلى الحركة الطلابية لابد أن يكون هناك لقاء يسترجعون فيه ذكرياتهم ويكون فيه مثلا المهندس أحمد بهاء شعبان ، د. أحمد عبد الله ، د. حلمى الجزار ، وعصام العريان وآخرون . وهذا سيؤثر بالتأكيد على حركة الطلبة . . لأن الطلبة الآن من نوع الذين يلعبوا أدواراً صغيرة . . فأزعم أنه لا سبيل إلا أنهم يعيدون النظر فى أدوارهم من جديد إذا كانوا سيتسلحون بتجارب الآخرين.

أتصور أنه لا وقت للضياع . المسألة أخذت بعداً كبيراً جداً . لا وقت للضياع . أقصد أنه جاء الوقت أنه يمحى « بأستيكه » العداء الكلاسيكى بين التيارات السياسية الدنيا تغيرت ، ولو وأننا وقفنا مكاننا ولم نتحرك . أعتقد أن الشراك سيقع فيه الآن تيار وراء تيار . وهذا يسلم فى النهاية إلى التكفير تماماً بالتجربة الديموقراطية . هى تجربة إلى الآن عقيمة ، لكن عسانا من خلال التكاتف أن نحترم رؤى الآخرين وهذا يوصل إلى أن نعرف الآخرين وماذا يقولون ؟ أى بمعنى أكثر صحة أنه مثل ما د. أحمد عبد الله قال إن اليساريين يشككون فى مدى كون شعار الإسلام هو الحل يحمل برنامجا . لا . هناك برنامج ، لكن المسألة تستدعى قراءة ، وقراءة واعية . وفى نفس المعنى ليس من حق الإسلاميين أنهم يقولون مثلا أن التجمع أجرى صفقة مع الحكومة لخوض انتخابات مجلس الشعب ، وأن خالد محيى الدين يكون هو زعيم المعارضة وخلافه من ضمن تلك الأشياء السياسية . فالمسألة خطيرة جداً . نتصور أنه لابد من أن نُحسِن الظن بأنفسنا ـ بداية ـ وبالآخرين . . لأنه إذا استمرينا على هذا الوجه أنا واحد من الناس سأشكك فى

مدى انتماء التيارات السياسية أساساً لمصر . . لأن نحن الآن بالتصرفات والمشاحنات وخلافه ، والإلحاح على أن الإسلاميين كانوا يتعاملون مع اليساريين بشكل ما ، وأن اليساريين يقولون أن الإسلاميين رجعيين ويصفونهم توصيفاً على أنهم ضمن اليمين . المسألة أصبحت خطيرة . ليس هناك وقت يا جماعة . الدنيا تغيرت بأمانة شديدة . فلا تلوموني إذا قلت أن الأوضاع إذا استمرت بهذا الشكل ، إذن نحن جميعا نشارك بعمل دنئ هو تلطيخ وجه مصر ، والحكم على مستقبل مصر بالضياع والإغلاق بالضبة والمفتاح ! .

أ. هانى الحسينى

هل فعلا حركة الطلبة كانت دائما تعبر عن « مؤشر متقدم » للرغبة في التغيير ؟ هل هذا المؤشر كان قائماً فعلاً تاريخيا ؟ هل ما زال هذا المؤشر سارياً حتى الآن ؟ وهل يمكن أن نستخلص الآن بعض الإرهاصات التى تقول ذلك ؟ وذلك باستقراء ما عرض عن حركة الطلبة عبر الفترة من ١٩٥٢ حتى الآن .

أ. سيد عبد العال

(محاسب ومن قيادات اتحاد الشباب التقدمى بحزب التجمع)

أولا إشارة إلى أنه فى فبراير ١٩٦٨ كان هناك موقف مؤيد للحركة الطلابية ومعارض للنظام من داخله ، واستخدم مدير المخابرات العامة أحمد كامل لقيادة منظمة الشباب .

المسألة الثانية أنه كانت منظمة الشباب في ذلك الوقت عندها فى التجربة مائتان وثلاثون ألف شاب يعبئون ف اثنتي عشرة ساعة على مستوى الجمهورية ، وهذه تجربة

نفذتها المنظمة ١٩٦٨ ، فكان لابد أن تحل . وفى السبعينات تم القبض على جزء من قيادات منظمة الشباب فى أعقاب قرار اللجنة المركزية لمنظمة الشباب بألا تنشأ أى لجان لمنظمة الشباب داخل الجامعة . وصدرت مجلة الشباب التى كانت تصدر عن منظمة الشباب فى هذا الوقت تحيى الحركة الطلابية . وأن جزءاً من قيادة منظمة الشباب كان يطلب الحق للطلبة أنهم يمارسون حقهم الديموقراطى و . . . الخ .

ثم القبض على جزء من قيادات منظمة الشباب . وهم يمكن أن يكونوا غير موجودين فى الحياة السياسية الآن ، لكن منهم فى ١٩٦٨ مثل أ. وجيه عباس فالدور الذى لعبته منظمة الشباب لم يكن غير مساند للحركة الطلابية أو معادياً للحركة الطلابية فى مجمله .

الجزء الثانى خاص باتحاد طلاب مصر . اتحاد مصر فى ١٩٧٢ كان رئيسه يحيى إبراهيم أبو العينين ، نائب رئيس الاتحاد نبيل صفار ، رئيس اللجنة الثقافية سعيد ناجح . اللجنة الوطنية العليا للكلية عندما أعلنت فى جامعة القاهرة حضر نبيل البشبيشى رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة إلى الاتحاد العام يطلب مقرا بديلا وميزانية ، ورفض نبيل صفاء أن يعطى له مقرا بديلا ، ورفض أن يعطى له ميزانية ، وقال له « أنت فقدت شرعيتك » . العلاقة بين الحركة الطلابية فى السبعينات والاتحاد الذى هو المؤسسة النقابية هى فعلا مسألة لابد أن تأخذ موضع اهتمام الآن أمام الأجيال الأحدث . . كانت علاقة الحركة الطلابية فى السبعينات بالنقابة أو المؤسسة النقابية الطلابية هى معركة انتخابية فى مواجهة خصم كنا نسميه فى هذا الوقت مجموعات النشاط الجالسين على الكافيتريا ، الذين هم مع المباحث . وكنا ندخل هذه المعركة بهدف كسر هذا الخصم ، وليس تقديم

خدمة نقابية . ليس بهدف السيطرة على النقابة وتوجيهها لعمل نقابى يخدم مجمل الحركة الطلابية . . مثل ما قال أ. أحمد بهاء نحن فشلنا فى وضع تقاليد للعمل النقابى فى الجامعة ، أو لم نعمل بالأسلوب الذى نجح فيه بعد ذلك الجماعات الإسلامية . هذا هو الذى لابد أن نلفت النظر له اليوم . . إن النقابة فى الجامعة لم يستطع اليسار إبان السبعينات أن يرسى من خلالها مفهوم العمل النقابى داخل الجامعة ، بل العكس . . فى أحيان كثيرة كان يعطى لها ظهره . . لم يحدث أن اهتم بها إلا بعد ذلك فى اتحاد ١٩٧٦ .

عادل شعبان

(باحث بمركز البحوث العربية)

هناك ملحوظة خاصة بدور منظمة الشباب فى هذه الفترة ، وأنا أتصور أن دورها كان مهماً ، ومهم إبراز هذا الدور . . لأننى أعتقد أنه كان هناك أكيد تأثير مباشر لدور المنظمة بالذات فى ١٩٦٨ – ١٩٦٩ .

والملحوظة الثانية . . تولد لدىّ انطباع ـ أنا عندى هذا الانطباع فى الحقيقة منذ فترة ـ أننا نعيش فى مجتمع مفتقد لذاكرته الوطنية . مجتمع يعيش هكذا مفتقد لأى خبرات نضالية تراكمها . وهنا بما أننا نحتفل بربع قرن على الحركة الطلابية ، وأتصور أن كلامى يكون موجهاً للدكتور أحمد بالتحديد ، أن من المهم أن يكون هناك جانب توثيقى . الخبرات ، الوثائق ، النضالات . أتصور أن الشباب الجديد الذين هم أساساً قد تعرضوا لعمليات من التضليل الإيديولوچى الهائل ـ مهم أنهم يعرفون الخبرات النضالية . . لأنه كانت تجربة ١٩٧٢ ـ بالذات ـ كانت شيئاً رائعاً فأتصور أنه من المهم أن يفهمها الشباب والجيل الجديد . وأنا الحقيقة بدأت هذا الموضوع ، لكن ليس على

الحركة الطلابية وإنما على الحركة العمالية . أنا بدأت فعلا أعمل فى الجزء الخاص بالحركة العمالية ـ وهذا مجال اهتمامى ـ أسجل وأرى . . أعمل مقابلات مع جيل الأربعينات ، واكتشف فى الحقيقة خبرات هائلة . مهم جدا الناس كلها تكون على علم أن هذا مهم لبلورة ـ فعلا ـ مجتمع مدنى . ناس تكون عارفة ومجتمع عنده أساس . إنما واضح أن هذه فترة المرء يعيشها الآن فيها النضال يبدأ ليس من حيث ما انتهى الآخرون ، وإنما النضال يبدأ منذ البداية . . عملية صعبة ومرهقة ولا توصل لنتائج إيجابية ومثمرة .

أ. محمد منير

(نشط كطالب فى جامعة القاهرة لفترة ثم خريج جامعة عين شمس)

كان فى كلام الباشمهندس أنه كانت هناك محاولة من السلطة دائما للإيقاع بين الاتجاهات السياسية تحت دعوى الإسلامية أو الشيوعية أو الناصرية . وفهمت ضمنياً من كلامه أنه لم يكن يجب أن نقف تحت تأثير هذه الوقيعة . وأنا أقول له وأتساءل أنه ليس بالضرورة أن يكون عكس هذه الوقيعة أن نحاول أن نتحالف مع كل القوى التى كانت موجودة . . بمعنى أننى أرى أن أفضل ما فعلته الحركة الطلابية فى الفترة بين ١٩٧٢ و ١٩٨٤ هى عدم التحالف مع التواجد الإسلامى ـ لن أقول القوى الإسلامية فى الجامعة ـ لأنه إذا كنا نحن نحاول أن يكون لنا تواجد أو قريبين من البعد الاجتماعى ، فنتذكر أن القوى الإسلامية فى هذه الفترة كانت قريبة إلى الدروشة أكثر منها إلى البعد الاجتماعى . ويتذكر معى الباشمهندس أحمد بهاء الدين الشيخ قمر إذا كنت تتذكره ، وهو من المبلغين الأساسيين للمباحث عن الحركة الطلابية فى ذلك الوقت بمختلف أنواعها . النقطة الثانية أنه ليس بالضرورة أن ننظر للصراع بين القوى السياسية

فى فترة ١٩٧٢ – ١٩٨٤ على أنه صراع مدان . . فمثلا الصراع بين نادى الفكر الاشتراكى التقدمى ونادى الفكر الناصرى ، أنا رأيى أنه صراع طبيعى فى هذه المرحلة . . لأنه كان صراعاً بين رؤيتين مختلفتين .

أ. هانى الحسينى

فى هذه النقطة المتعلقة بدور القوى السياسية فى الحركة الطلابية ، وأن هذا الموضوع هو الذى استخدم من جانب السلطات الحاكمة لتفريغ الحركة الطلابية من مضمونها الوطنى والديموقراطى ، لست منحازاً إذا تحدثت فى مواجهة التيار الإسلامى بالمعنى الوطنى والديموقراطى . فتلك هى المرة الأولى التى تصبح فيها الحركة الطلابية ذات طابع – إذا جاز التعبير – طابع ايديولوچى . هذه هى المرة الأولى ، إذ يحاول الإسلاميون فرض هذه المسألة على الجامعة . ولكن كما أشير فى الحديث أو فى المداخلات الرئيسية أنه كانت دائما القاعدة الطلابية صاحبة مفاهيم بسيطة وعامة وتتعلق بالمضمون العام للوطنية والديموقراطية . وبالتالى الدور النشط للقادة لم يكن من الناحية الفكرية مؤثراً فى جمهرة الطلاب . . سواء الماركسيون ، سواء الناصريون ، سواء غيرهم . وإن كان هناك تقييم فإنه فى تقديرى أنه كلما كان القدر متاحاً للقوى السياسية للتداخل الفكرى فى الحركة الطلابية كلما كان هذا سلبياً على الحركة الطلابية . . أنا لا أريد أن أدخل فى استخلاصات . لكن هذه وجهة نظر . وأيضا أنا أربطها بمسألة أن الخط العام للفهم الديموقراطى لأى حركة هو قدرتها على الاستقلال . أى إذا أخذناها على مستوى القوى السياسية كلما كان الماركسيون مستقلين ، كلما كانوا ديموقراطيون . كلما كان أى تيار سياسى ، أيا كان ، يسعى لأن يعبر عنها بشكل مستقل ، سيصبح ديموقراطيا بالضرورة . فالحركة الطلابية كحركة نقابية حركة لم تأخذ حتى الآن حقها من التواجد . ولذلك

إثارة مسألة المؤسسات مسألة مهمة جداً . لأنه الآن نحن نتحدث وليس لدينا فى مصر مؤسسة ـ مصر بكل ما تحمله كاسم ، وليس بالمعانى التى تذاع فى الأغانى أو فى التليفزيون ، بل بما نحمله نحن كمحاولين للدفاع عن حقوق هذا الوطن ـ ليس فيها اتحاد عام لطلاب مصر هذه الانتكاسة فى حد ذاتها تستحق منا التأمل . . من المسئول ؟ آخر مسلك لهذا الاتحاد هو أنه وقع وثيقة فى مواجهة اتفاقية كامب ديفيد . آخر مسلك وبعده اندحرت الأمور . ولذلك أنا أثير أيضا قضية علاقة القوى السياسية أو الفكرية بالطلاب . هذه القضية قضية مهمة جداً . . أنا بعيد عن الجامعة طبعا وأصبحت رجلاً مهنياً ومحاسباً . أرى من بعيد . . لكن أشك جداً فى إمكانيات حركة الطلبة . لماذا ؟ هذه تحتاج إجابة لكننى سأقول كلمة أخيرة . أنا أريد أن أقول إننى أعتبر وكثيرين مثلى يعتبرون أن ١٩٧٢ - ١٩٧٣ هى أكثر الحركات الطلابية استقلالية فى تاريخ الحركات الطلابية .

أ. عادل الضوى

(أمين اتحاد الشباب التقدمى بحزب التجمع)

لابد علينا كجهة نظمت هذا الاحتفال أن نعترف أن ضيق الوقت جعل الاستفادة ليست كما ينبغى . فقد حاولنا بأسرع السبل الممكنة عقد الندوة . لكن هناك جملة من الاعتبارات وضعناها فى اعتبارنا . أولها دعوة جميع القوى السياسية . حرصنا على الدعوة مثلا لأمانات شباب الأحزاب كلها . والاتحادات الطلابية الموجودة الآن حرصنا على أن نوجه لها الدعوة من القاهرة ومن خارج القاهرة والأصدقاء والزملاء والأخوة الذين كان لهمم دور فى الفترة الأخيرة دعوناهم وأيضا بمعاونة د. أحمد عبد الله استطعنا أن نتصل بالدكتور أحمد محمد عبد الله والمهندس أحمد الريدى اللذين كانا قيادات

طلابية فى الفترة الأخيرة . حرصنا على أن يكون التواجد لكل التيارات والقوى المعبرة عن الطلاب . . أى لم نتعامل معها بمعنى حزبى ، أو بمعنى سياسى ، أو يسار ويمين . وحتى طلاب النشاط دعوناهم . وبالمناسبة حتى أسرة حورس وجهنا لهم دعوة . . وفى البداية وافقوا ، ويبدو أنه بعد ذلك رجعوا لأحد فقالوا إن من المفضل ألا يتورطوا فى السياسية بشكلها المباشر ، ولكن إذا أنتم تريدون أن تتعرفوا علينا وعلى أفكارنا . نحن عندنا استعداد أن نعمل معكم ندوة مستقلة . وأنا أزعم أن هذا مفيد . . أى من باب العلم بالشئ أننا نحن أيضا نعرف الموضوع المثار . فمعذرة إذا كان هناك قصور . ونتمنى أن المسألة تبعد عن الشخصنة وتبعد عن أيضا الذكريات . فإذا كان د. أحمد ومهندس بهاء رغم ما لديهم من ذكريات قد تكلموا فيما يمكن أن يفيدنا نحن فأنا أطلب من زملائنا المتواجدين الآن فى الحركة الطلابية أن يبتعدوا عن الذكريات وعن شخصنة الأمور ويتعاملوا بنفس الروح . أنا لا أصادر على أى أحد يتكلم . . فقط من أجل المطلوب منا وهو أن نأخذ استخلاصات من هذه الندوة .

أ. صابر السماك

(ليسانس آداب ـ فلسفة)

نعترف أن التيار اليسارى بصفة عامة داخل الجامعة ـ وهذا نحن نلمسه جميعا ـ فى حالة أزمة ، أزمة جماهيرية أكثر مما هى أزمة فكرية إلى حد كبير . بحيث نحن فعلا نحتاج أن نعمل حواراً ، ونحن نعرف آليات بعضنا البعض جيداً جداً . نحن عندنا فى آداب على وجه التحديد هناك علاقة حسنة بيننا وبين الإخوان . . هذا لأنهم ضعفاء فقط آداب ، ولأن الأمن ضدهم جداً . لكن هناك مشكلة فى بنية النص الدينى نفسه ، أو الخطاب الدينى نفسه . فحسب الأدبيات التى درسناها ـ وليس قرأناها فقط ـ لسيد

قطب والرسائل الثلاث لحسن البنا ، أو رسائل الشهيد حسن البنا ، كل الأدبيات الموجودة الإسلامية ، وحتى الممارسات التى تتم داخل الجامعة ، هى تتكلم عن أول شئ « الحاكمية لله » . الشئ الثانى تطبيق شرع الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . الشئ الثالث ـ وهذا أساسى جداً ـ التدوين العقوبى ، أو الإيمان بهذا الشكل . وهذا يؤكد شيئين . شئ كان منذ فترة قريبة ـ لن نتحدث عن شئ بعيد ـ مظاهرة وبيان أصدرته الجامعة الإسلامية على أساس أنها تضرب حورس على أساس أن هناك أربع بنات وأربع أولاد حدث بينهم حالة زنا داخل الرحلة التى كانت موجودة فى الأقصر وأسوان . فحدث نقاش . قلت له أنا أكره حورس جداً ونريد أن نضربهم بالحذاء . ليس هناك مشاكل . فقط أنا أريد أن أقول شئ بسيط جداً . . هناك حوالى ألف طالب يمشى يلف الجامعة من أجل بنت ذهبت وبنت جاءت ، ولم يحدث ذلك على أساس القانون الذى كان موجوداً فى الجامعة . أما مسألة التجنيد أربع سنوات ، فهناك طلبة كثيرون جداً بح صوتهم وانقطع أمام القبة ليس هناك أى فعل للجماعة الإسلامية حدث . الشئ الثانى ـ وهذا خطير جداً ـ مسألة أن الجماعة الإسلامية وقفت فى مرة . . طالب منهم تم رفته عندنا فى الامتحان شهر تماماً ، وعملوا هيصة ،، ثم ذهبوا وأدخلوه المدرج . . وقف الطالب يقول نحن نستشرف الخير فى سعادة العميد ونريد فقط أن نعرف قانونية رفت الطالب ، أى كل مشكلة هل هناك قانونيا رفت للطالب أم لا يرفت ؟ وهناك ضجيج وهناك ألف شخص موجود من أجل أن يقول هل هذا فيه قانونية أم لا . ببساطة جداً العميد قال أنا أبوكم ومن واجبكم أن أنتم تسمعوا كلام آبائكم لأننا نحن حريصون عليكم ، والقانونية تعالى يا أستاذ عبد الله قل لهم قانونية الذى حدث . ببساطة وقف الأستاذ عبد الله وقال لهم . فببساطة نحن سنعمل حواراً مع من ؟ شئ من الاثنين عندما

الجماعة الإسلامية أو التيار الدينى يغير بنية الخطاب الخاص به كاملة ، ونبدأ نقول حينئذ حاكمية الإنسان ، ونبدأ نقول إشراف طلابى على الجامعة ، ولاداعى لأن نحتكم للاتحاد، ولاداعى أن نعتذر لرجال الأمن . . الخ أو نغير نحن رؤيتنا كاملة .

د. سالم سلام

(من نشطاء طب المنصورة فى السبعينات)

أنا بحثت فى أوراقى فوجدت أوراقاً جميلة جداً تذكرنى بفترة ١٩٧٢ . أنا لا أعرف كيف وصلتوا لها . أنا كان عندى نسخة أصلية من ورقة د. حسن اسماعيل رئيس جامعة القاهرة فيها اعتراف باللجنة الوطنية ـ اللجنة الوطنية هى القيادة الشرعية لجامعة القاهرة . والوثيقة الطلابية التى بعدما د. أحمد عبد الله ذهب لمجلس الشعب ، ومجلس الشعب وافق عليها كطلبات اللجنة الوطنية العليا وأسماء غريبة جداً عندما جئت أستعرضها . كثير منهم لا أعرفه . كانوا عاملين ثلاث قضايا سنة ١٩٧٣ منهم قضية كان المتهمين فيها أول متهم أحمد عبد الله رزة . سهام سعد الدين صبرى . شوقى الكردى نصر شاهين . عبد الله مزارع . محمد كمال الجميعى . محمد مصطفى مندور . السيد القط . محمد درديرى . علاء سامى . محمد الشبة وآخرون . أيضا هناك قضية أخرى خالد مندور وطلعت فهمى ومجموعة . المهم الذى أريد أن أقوله اليوم هى خبرة الخارج . أى أحداث ٧٢ / ١٩٧٣ . نضال سياسى مباشر . أنا أريد أن أقول خبرة أخرى نقابية . أى خبرة نقابية متعلقة بكيف لائحة سنة ١٩٧٦ صدرت ، وهذه مسألة كانت هامة جداً جداً بالنسبة للمؤتمر الثامن والتاسع والعاشر لاتحاد طلاب الجمهورية . مفروض أن لائحة الاتحاد فيها جزءان ، جزء أحكام عامة وجزء مالى وإدارى . فدائما كانت بعد الطلبة فى اتحاد طلاب الجمهورية ما يقرونها ترسل لرئيس الجمهورية ، وخلال شهر يصدر قرار

جمهورى . وزير المالية يصدر قراراً بالشق المالى والإدارى يكون ملزماً للإدارات المالية وشئون الطلاب ، ورئيس الجمهورية يصدر قراراً بحيث أن هذه الأحكام تصبح عامة . وجدنا أن قوة الطلاب تكون فى مؤتمر اتحاد طلاب الجمهورية ، ثم تصدر لائحة جميلة جداً تنزل رئاسة الجمهورية ، رئاسة الجمهورية لا تصدق عليها ، ثم يبدأ مجلس اتحاد طلاب الجمهورية يكون استقر ويبدأوا يعملون معه علاقات ، فيظلون يعملون معه مساومات أن نعمل لجنة مشتركة لإعادة الصياغة . إذن نعدل وتنتهى المسألة . . أن تشوه اللائحة ولا تصدر . المؤتمر الثامن والتاسع والعاشر فعلوا ذلك . ويأتى مرة عبد الحميد حسن — عندما كان يتولى رعاية الشباب — يعمل لجنة صياغة وبعض الناس فى اتحاد طلاب الجمهورية كانوا يقبلون بهذه المسألة . جئنا فى المؤتمر الحادى عشر الذى كان فى شبين الكوم سنة ١٩٧٦ ، وبدأت المسألة بأن نحاول أن نضغط أثناء المؤتمر . أى بما أن قوة الطلاب تنتهى بمجرد انتهاء المؤتمر ، ويلعبوا لعبة أنهم يستقطبون الناس فى اتحاد طلاب الجمهورية ، يتيحون لهم السفر للخارج كثيراً جداً ويغدقون عليهم . يأتون بموظفين منحرفين ماليا يعاونونهم فى الاتحاد من أجل أن يجعلوا أعضاء الاتحاد ينحرفون ، ويسهلوا لهم فى مسائل السفر وتذكرة الطيران وهذه الأشياء . ثم يقولون نعمل لجنة صياغة وتنتهى المسألة على ذلك ، فقلنا إذن نبدأ بأننا نحن أول يوم نأخذ قوة من المؤتمر . نعمل مسيرة — وكنا فى شبين الكوم — لبيت السادات . احتجاج فى ميت أبو الكوم — وهى قرية من شبين الكوم التى فيها المؤتمر — فعملنا مسيره احتجاج بلافتات . كتبت الصحف فى اليوم الثانى أن الطلاب المصريين ذهبوا يؤيدون الرئيس السادات ، وهو لم يكن فى شبين الكوم . لكن كان هناك النبوى اسماعيل ومجموعة وقالوا سنبلغ وجهة نظركم . فى اليوم الثانى الصحف صدرت بذلك . الحقيقة تجربة جميلة جداً إن نحن

وصلنا لفكرة هى بسيطة وجميلة . ماذا قلنا ؟ بما أننا القوى الأساسية فى المؤتمر ، فنحن نعمل شيئاً . فكرة جميلة هى التى أصدرت اللائحة . . ان نحن قلنا أن أعضاء المؤتمر يكتبون استقالة جماعية أربعين يوما بعد نهاية المؤتمر أى رئيس الجمهورية يصدر لائحة بعد شهر . نحن بعدها بعشرة أيام أخرى . وحددنا يوم ١٢ ابريل الذى هو بعد أربعين يوماً من انتهاء المؤتمر . نعمل استقالة جماعية بتاريخ يوقع عليها كل الناس . والحقيقة مؤتمر شبين الكوم كان بداية أن بعض اتجاهات يكون فيها تيار إسلامى ــ لم يكونوا إخوان مسلمين ــ لكن بدأ يكون هناك تيار إسلامى ، وكلهم جاءوا ، وعملنا بيانا جميلا جداً . قلنا فيه أن الاتحاد العام لطلاب الجمهورية كمؤسسة وقد عجز عن توفير أبسط الحقوق والمطالب للطلاب ، فهو الذى يترك من بعد ١٢ إبريل للطلاب حرية تشكيل أى منظمات وطنية مستقلة ، وتم التوقيع على هذا البيان ــ أى هذا البيان للطلاب ــ ، وكلف رؤساء الاتحادات ورؤساء طلاب الجامعات أنهم يعلنون هذا البيان فى جامعاتهم . يوم ١١ إبريل كان الرئيس حسنى مبارك وهو نائب رئيس الجمهورية قد وقع فعلا على اللائحة ، وطبعا استمرت فترة محدودة جداً . لكن أنا أعتبر أن لائحة ١٩٧٦ هذه كانت لائحة عظيمة لأنها قدمت أفضل إنجازات ، وبالذات حكاية اللجنة السياسية فى الاتحاد . أن الإشراف على أنشطة الطلاب من الطلاب أنفسهم ، وأصبح الذى ينظم النشاط الطلابى فى الجامعة أو النشاط السياسى والثقافى هم الطلاب ، وأصبحت حتى موافقة أمين اللجنة الثقافية ، أو أمين اللجنة السياسية ، أو رئيس الاتحاد أو نائبه ، على المجلة ، ليست موافقة على محتواها بل على أن هذا طالب فى الكلية . أى أن هذا ليس شخصاً قادماً من الخارج ــ هذا طالب ــ أى موافقة شكلية ــ وطبعا لم تستمر إلا فترة بسيطة . أى النضال النقابى عندما يكون مرتبطاً بضغوط طويلة الأمد وأفكار جيدة يحقق نتائج .

بالنسبة لموضوع الجماعات الإسلامية ، أنا رأيى أنهم فى تاريخهم دمروا حركة الطلاب أى دمروها لأنهم طبعا حدودا لها آفاقاً ضيقة جداً . لأنه بعد ما كانت آفاق الحركة الطلابية واسعة جداً يناقشوا قضايا على مستوى الوطن ككل . . يناقشوا قضية الأرض والتحرير و . . الخ ، جاءت المجموعات التى جاء بها عثمان اسماعيل ، وهذا كان يتم على أيدينا . أنا كنت عضوا فى مجلس إدارة الكلية عدة سنوات . عضو المكتب التنفيذى عدة سنوات . إن سيد مرعى وعثمان اسماعيل هم الذين جاءوا بمجموعة الفنية العسكرية بالاسم . كلهم ، طلال وغيره وغيره . الذين قُبِض عليهم فى الفنية العسكرية هم الذين كانوا يعطونهم نقوداً ويدعمونهم . اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى مع سيد مرعى بدأت المقولات المدمرة التى دمرت حتى النضال السياسى كله . أن من الذى قال أن أهم قضية هى قضية تحرير سيناء ؟ القضية الوطنية مثل ما يقول الشيوعيون فى الجامعة. القضية الرئيسية هى مثل ما كان يقول عثمان اسماعيل ــ الذى أصبح بعد ذلك محافظاً لأسيوط ــ ليس مهما سيناء ، المهمالخطر على عقيدتنا وخطر الشيوعية ــ أو المد اليسارى ــ فى الجامعات ، بعد أن حلوا التنظيم الطليعى وبعدما ١٩٧٢ كان فيه مد يسارى فى الجامعات . هم دمروها لأنهم بدأوا يحصرونها فى أفكار ضيقة ، هى الحزبية للإخوان المسلمين أو للتنظيم المنتمين له ، أكثر من قضايا عامة سواء نقابية أو سياسية . مرتبط نجاحهم بنجاحهم الحزبى . أى مرتبط نجاحهم بمسألة أن يعود الإخوان المسلمين . بصرف النظر عن أى قضايا وطنية عامة . وتحولت الحركة الطلابية كلها من مسار الوطنية ــ أو النقابية ــ لأشياء ضيقة وأقرب للأشياء الحزبية وأقرب للتعصب ، والروح العامة انتهت .

مهندس أحمد الزيدى

(من القيادات الإسلامية بجامعة القاهرة فى الثمانينيات)

بداية لابد أن نعترف جميعا يساريين وإسلاميين أن الموقف ليس أننا فى وضع نموذجي فبالتالى نحن جالسون نتكلم في ترف . ولكن نحن واقعون فى إشكالية فعلية علينا أن نحاول حلها . أى الوضع الذى رآه الزملاء فى جامعة القاهرة وأنا لن أعلق عليه نهائياً بقدر ما سأقول كلمة واحدة فعلا . عندى كلام كثير أهم من هذه القضية لأن فعلا هناك إشكالية واقعة بين اليسار وبين الإسلاميين . ونريد أن نحلها ، فبالتالى غير منطقى أننا نظل نقلب فى الماضى ونقول لا والله أصل التاريخ يقول . إذن نقلبها ونغلق ونمضى . لكن فعلا اليوم نحن نقول إننا واقعون فى ضرورة حضارية بالوقوف أمام المشاكل التى نتوقعها ، لن نقول فى سنوات ولكن اجعلوها شهور . من قيام اسرائيل الكبرى وما إلى ذلك من قضايا هامة ومصيرية فى حياة أمتنا .

التصور الذى طرحه الأخ محمد منير يخدم كثيراً الدعاوى الحكومية بموضوع أنك تضع الإسلاميين فى سلة واحدة وتقول هؤلاء يكفرون . من الذى يكفر ؟ موضوع التكفير هذا حُسِم منذ زمن - بالمناسبة - فى الوسط الإسلامى . موضوع التكفير حُسِم . هؤلاء عُزلوا . مجموعة من المكفرين عُزِلت . مجموعة اليوم ، أنت تخاطب من الإسلاميين فقط جماعة الإخوان المسلمين . أى دعك إذن من المجموعات الأخرى لأنهم لن يقبلوا الحوار السياسى . مجموعة الإخوان المسلمين سواء كانوا داخل أو خارج الجامعة . هناك فى الجامعة تشدد قليلاً عن الجماعة الأم فى الخارج - لن نختلف فى ذلك - ولكن هم هؤلاء الذى أنت كيسار لك أرض مشتركة يمكن أن تتحاور خلالها معهم . غير ذلك لا تملك حتى لا نضيع وقتا ، فحدد الاتجاه الذى نتكلم عنه . لا تقل

لى الاتجاه الإسلامى ، ثم تجنح وتقول أصل بيكفروا . فحدد الاتجاه ، وهذا الاتجاه لا يكفروا ، وأنت تعلم هذا جيداً .

وأيضا مثل ما قلت أنت الفن . مثل ما نسميه نحن ، ليس هناك شئ اسمه فن إسلامى نحن نقول هناك فن يمكن أن يكون له صبغة إسلامية . . له ملامح . وهى فرصة جيد جداً أن أدعوكم لمشاهدة بعض النماذج الفنية التى عملناها فى نقابة المهندسين . وأنا لست عضواً قياديا فى النقابة . . أنا مهندس عادى أستفيد من النقابة ، وبالتالى يمكن أن أفيد . عملنا مسرحيتين ليسا مثل الخاصة بالشياطين . هى فقط أن الفن الذى نقدم له ملامح ، فالملمح الرئيسى له أنه ليس هناك عنصر نسائى على المسرح . لكن أنا أتحدى أى ناقد ، وبالمناسبة لهذا الكلام النقاد جاءوا وتحدثوا معنا . المسرحيات التى ظهرت مسرحيتان ، ولنا تسجيلات ليس لمسرحية ، ولكن النقاد علقوا . قالوا فعلا أن هذا الفن جدير بالمناقشة يا جماعة . أى فعلا لا داعى لدعاوى الرجعية التى تطلق جزافاً . تعالى ننظر . نقف على أرضية ونتناقش . دعك من كلام الشياطين الذى عندكم هذا . أنا أتحدث فى شئ مدروس وتخرج باسم اتجاه . دعك من مجموعة جلسوا يفكرون فى حجرة وخرجوا بمسرحية . أنا أتكلم فى اتجاه .

موضوع يوم الطالب العالمى والأثر السيئ الذى وضعناه فى نفوس إخواننا اليساريين ، ويوم التأبين أيضا . أولاً نحن لسنا طبعا الذين دعونا وزير التعليم . نحن اشتركنا فعلا ، وهذا كان خطأ . لكن لسنا نحن الذين دعوناه . هذان الخطآن ، يوم الطالب العالمى ويوم التأبين هو فعلا حصيلة أننا لم نجلس مع بعض قبل ذلك ، وشئ طبيعى لأى تجربة لابد أن يكون فيها الخطأ مقدماً على الصواب حتى أستطيع أن أستفيد ، وحتى أستطيع أن أقول إن أنا كحركة داخل الجامعة مستقلة عن الحركة الأم فى الخارج ـ أو الحركة

الايديولوجية فى الخارج ـ لكن لابد أن أخطأ . . لأن أنا شاب وكنت مرتبطاً بالحركة من الخارج ، وأريد أن أستقل اليوم . فليس فجأة هكذا سأخرج الوضع النموذجى . وهذا يكون عائقاً لنا حتى نعمل تنسيقاً .

تبقى نقطة ، وهى النقطة التى أثارها د. أحمد وهى موضوع التغير والتطور . . أنه لا يمكن أى شخص من الإسلاميين ينكر هذا الموضوع . الإسلاميون يتطورون ، ويتطورون ـ يا جماعة ـ فى مقابل ثبات كامل من اليساريين ومن غيرهم . نستطيع أن نقول أنه على الأقل ليس بربع السرعة التى تطور بها الإسلاميون . على الأقل هذا الموضوع منذ ١٩٨١ عندما كانت تطلق دعاوى الرجعية . ١٩٩٣ أنا متأكد أن الذى سيقول الإسلاميين هؤلاء رجعيين ، يكون هو الذى يختار الطريق الأسهل حتى ينام فى بيتهم ، ولكن هو غير قادر أن يجابه أن هناك تطورات ، وهناك تغيرات سواء فى الإسلاميين أو فى المتغيرات من حولنا حتى يجلس ويناقش . هو يجعل عقله خاليا ، ويقول لك « أصل هؤلاء الجماعة رجعيين » ! .

د. أحمد محمد عبد الله

(من القيادات الإسلامية اتحاد طلاب جامعة القاهرة ١٩٨٤)

يمكن الباشمهندس أحمد الريدى دافع ، ود. أحمد عبد الله دافع أيضا عن التيار الإسلامى . أنا سأحاول أن أهاجم التيار الإسلامى . إن ظروف المرء باقتناعه ، بفرزه للموجود ، جعلته يندرج ويعمل مع التيار الإسلامى . وأخونا يقول ماذا أضاف التيار الإسلامى للحركة الطلابية ؟ الحركة الطلابية ليست كتلة واحدة ، وليست زمنا واحداً ، وليست طبقة واحدة ، وليست عصراً واحداً . أنا أتكلم عندما أتكلم عن أن كل شخص يحكم ـ إلى حد ما ـ من تجربته الشخصية . نحن عندما بدأنا بعد حركة ١٩٨٤/٨٣ .

الجامعة نامت . لا كان يثار موضوع لائحة ولا قضايا وطنية عامة . بدأنا نحن وكنت أول رئيس اتحاد طلاب لجامعة القاهرة من الإسلاميين الجدد . أى بعد أن انتهت دورة ١٩٨١ نحن كنا أول الإسلاميين الجدد الذين ظهرنا كجيل منتصف الثمانينات . الذى يتابع التاريخ ، وهذا الكلام موجود كله بتفصيله ـ وإن كان للأسف غير مغطى ـ فى كتاب د. أحمد عبد الله تغطية كافية ، وأرجو أن يضيف هذا فى الطبعة القادمة لأنه أصبح هو المرجع الآن ، الذى تكتفى كل الناس بقراءاته . بدأنا بالكلام عن اللائحة الطلابية وعملنا فيها جهودا يمكن لم تعمل بعد ذلك حتى على المستوى الإسلامى ، وأعلنا اتحاد طلاب الجمهورية ، وعملنا تحركات كثيرة على مستوى الموضوع . أعتقد أن الأمر كان كذلك بالنسبة لمطالب خاصة بالأمور النقابية الطلابية مثل الامتحانات وخلافه . ولا أزعم طبعا أننا نحن بالتحديد الذين كنا سنطرحها ـ أى بالذات ـ لكن أقصد أن أقول إنها طُرِحت فى هذا الفضاء سواء منا أو من زملائنا . ولا يمكن أن أنسى زميلاً لنا اسمه سمير الجندى كان رئيس اتحاد طلاب حقوق ، وفى اجتماع الاتحاد وكنا اتفقنا قبل الاجتماع أننا نثير قضية الامتحانات ثلاثة أيام أو يومين ، وأثرناها فعلا وكان متفقاً معى . كنا متفقين على سيناريو معين أنه يحدث فى الجلسة . كان رئيس الجامعة د. حلمى نمر فى هذا الوقت . وعرضنا الموضوع وقال سمير : نحن نريد أن نتكلم فى موضوع الامتحان ، فالدكتور حلمى قال له ليس من حقك . أنت طالب لا تعرف . . طالب أنشطة وأمور الامتحانات هذه ليست من حقك وكذا ، فكنا متفقين . فقال له إذن هذه إستقالتى وأنا منسحب من المجلس طالما نحن جالسون هنا نتحدث فى الرحلة وفى الحفلة ولا نتكلم فى أمور الطلاب الذين نمثلهم . إذن أنا مستقيل ، وخرج فعلا من الاجتماع . وطبعا بعد ذلك استلقيت أنا الكرة وتحدثت مع د. حلمى فى تفاصيل ، لأن

التفاصيل كثيرة . فأريد أن أقول أننى أعتقد أن هذا الخط لم يستمر لاختفاء الجدل . . بمعنى أن التيار المسيطر مثل الباشمهندس ما قال ، ومثل ما قال الدكتور . قال التيار المسيطر له طريقة هى هى من أول التاريخ طوال ما هو مسيطر إذن الأمور تسير معه ولا يحتاج الباقين ، ولا يستغرب منه هذا . صحيح نستنكره ، لكن فى الغالب هذا يحدث دائماً . لكن الذى يُستَنكر أن الآخر يسكت . أى لماذا اليساريون أيامنا فى ٨٤ / ١٩٨٥ كان صوتهم عالياً وكانوا يسببون لنا فى كثير من القضايا حرجاً لدرجة أننا نحن كنا مضطرين أن نعدل فى خطابنا مضطرين من أجل ألا ينسحبوا منا ؟ هذه هى الحركة . لماذا سكتوا ؟ عدم استمرارهم أعتقد أنه ناتج عن عدم التطوير للنفس ...هذه نقطة .

والنقطة الثانية هى اختفاء الخطاب المضاد . أى أنا أستبد وأسير فى خط وأنت تتركنى . لا تتركنى . . أى على الأقل تقدر على تحريك الأمور لدرجة أنك تحرجنى بحيث إن إنا أتطور . . مع أنك فى أوقات أخرى كنت تحرجنى حتى أتطور . أريد أن أقول إنه نحن التيار الإسلامى الذى التزم . هناك التزام ، والذى غير ملتزم فيه ، لم يلتزم . هذه حقيقة قائمة . تيار مسيطر والكرة فى ملعبه ، وهناك الذى يكفر وهناك الذى لا يكفر . وهناك ناس تقول نتحاور . واحتمال يكونوا كذابين وتكتيك ، واحتمال لا يكونون . ثم ماذا نفعل مع هذه الظاهرة ؟ لن نستطيع أن ننتزعها ، ولن نستطيع أن نغمض أعيننا ونظن أنهم غير موجودين . إذن نحن الذين ستتضرر . هذه ظاهرة قائمة . أنت يمكن أن تكون مختلفاً معها من أولها لآخرها ، ويمكن أنا أكون مختلف مع بعض التفاصيل التى تعملها ، وليس هناك أى شخص سيوافق على شئ خطأ . أى ليس أى شئ من الأشياء التى أنت تقولها سأقول لا والله .هؤلاء لهم حق فى الذى يعملوه . طالب يضرب زميله سأقول هذا له حق . لن يحدث ، وإلا لا أكون إنساناً عاقلاً . لكن أريد أن

أقول لك إن هذه الظاهرة قائمة بأطيافها الكثيرة . والسؤال أيضا من الذى تم سؤاله . ما هى حكاية الإسلاميين داخل الجامعة ؟ ببساطة شديدة أحمد الريدى سبقنى ، وأنا أضيف إضافة بسيطة . هناك ناس إسلاميون مستعدون للحوار ومستعدون أن يسمعوا ويفهموا ويقولوا ويأخذوا ويعطوا ، وهؤلاء طيف واسع الذين هم أساساً فى المدرسة الفكرية الخاصة بالإخوان المسلمين ، وإن لم يكونوا مندرجين جميعا تنظيمياً فيها . وهناك ناس بصراحة « مفلوقين » ، إخواننا فى تنظيم « الجهاد » هؤلاء مفلوقين . ناس مفلوقين من الأمر الواقع الموجود . وبالاستبداد والتمشيط المستمر هؤلاء المفلوقين موجودين فى كل عصر وزمان ـ خاصة مع وجود الاستبداد ـ مرة يناضلون تحت راية اليسار ، وهذه المرة يناضلون تحت راية الإسلام ، ويبحثون فى الأدبيات الإسلامية ـ إذن ـ ليجدوا ما يستخدمونه فى الفلقة . وبالتالى هناك ناس يكونون بادئين بجذور جهادية ، ثم بعد ذلك عندما يبدأون ويبحثون ، عندما يسيرون فى طريق البحث قليلاً ، يبدأ الواحد منهم يهدأ ويجد أن المسائل مركبة . لكن الذى يظل فى خط الفلقة ـ خط الضربة ـ فأنت وأنت تضربنى على رأسى إما أقول لك أنت عدو، وإما أقول لك أنت كافر وعندى الدليل كذا . فإخواننا هؤلاء المفلوقين أعتقد أنه كلامهم غير صحيح على الإطلاق ، ولكن هم طبعا يمكن الحوار معهم بشكل أو بآخر ، ويمكن يكون الأقدر على الحوار معهم هم الإسلاميون الآخرون ، أو غيرهم ممن يمكن أن ينطلق من نفس الأرضية الثقافية . وهذه نقطة وهدف محترم للأستاذ أحمد الجمال ـ نقطة الأرضية الثقافية المشتركة ـ فعلاً إنك عندما تأتى تكلمنى كلاماً أنا لا أعرفه ، أو لا أرى أنه يفسرالواقع تفسيراً معقولاً . أو لم أقرأه قبل ذلك ، ستكون هناك مشكلة لغوية على الأقل . لكن عندما تطرح كلاما من على أرضيتى ، فيكون الأمر مختلفا .

وأخونا الذى يقول أنه مطلع أقول له : انظر كيف تتحدث الأجيال ؟ تقوله من الذى قال أننا غير مطلعين على الأدبيات ؟ نحن مطلعون على كل الأدبيات : رسائل الإمام الشهيد وكتاب سيد قطب . . . الخ . لكن سيد قطب مات سنة ١٩٦٦ ، وكتابات الإمام الشهيد منذ سنة ١٩٢٨ . بعد ذلك أليس هناك خطاب إسلامى ؟ أليس هناك أدبيات إسلامية ؟ إذن لو تريد أن تحاور الرجل الإسلامى حاوره بخطاب جديد إسلامى أيضا يقول كلاماً آخر تماماً . أى أجد طبعة جديدة على الأرضية الإسلامية أيضا . فأريد أن أقول أن الحوار ممكن ، ويمكن للحوار أن يكون عن طريقك ، أو عن طريق أى شخص مستقل أسهل . لكن أنا لو جئت أتحاور معك ستمسكنى وتقول : آه أنتم شئ واحد ، وتوزيع الأدوار، وكلام إخواننا أصحاب التفسير المباحثى ، وأنه لابد أن تقدم دليلك أن أعضاء الجهاد يضربون الإخوان بالجنازير والمطاوى وهناك معركة بينهما . هذه الدلائل موجودة ، ومع ذلك أنتم غير مصدقين . فما بالك إذن لو أنك ذهبت وتحاورت معهم ! .

نقطة أيضا خاصة بالفرز والتصنيف أنا أعتقد بصورة عامة أن الدنيا كلها والتيارات كلها يمكن أن تتصنف بأحد التصنيفات الموجودة فى البشر . أن هناك ناس تفهم ، وناس لا تفهم . هناك من لن يفهم سواء إسلامى أو يسارى . هو هكذا . أنا فائدتى إذن فى ماذا ؟ أنى أحرك . أى أرى بادئ من أين ؟ وأحرك للأمام . فأجعل الذى لا يفهم يسمع ، والذى يسمع يفهم ، والذى يفهم يتعاون ، وهكذا . أنظر أنا أين وجدت وأحرك الواقع الذى أنا فيه . إنما لا آتى أشطب على الواقع الذى أنا فيه هذا وأقول لا شئ بحدث . لا . . أنا الذى لا أرى . أنا موجود فى واقع بتفاعل تفاعلات معينة . أرى أن الصواب ــ أو المنشود ــ الذى أريد أن أصل إليه كذا ، والواقع الذى أنا فيه فى نقطة كذا . إذن كل جهودى أن أحاول أن أدفع الواقع الموجود .

ونقطة أخرى قيلت عن استخدام العمل الطلابى فى خلق كوادر . أن العمل الإسلامى أو العمل الطلابى الإسلامى يركز على العمل الطلابى لخلق كوادر ، وأنه يحاول أن يخرج بخمسين طالباً أفضل من أن يثير قضايا طلابية ، وما إلى ذلك . أعتقد أن هذا خط موجود فى التفكير الطلابى الإسلامى . سواء كل الخطوط أو على المستوى الفردى وعلى مستوى الطرح لنفس الإنسان . أى أنا يمكن يكون رأيى هكذا فى وقت ، وأتغير نتيجة الأحداث . أنا أتمنى أن أتغير نتيجة الأحداث بعد شهرين أو ثلاثة . ويمكن ناس آخرون تظل متبنية نفس الكلام ، وناس أخرى تتبنى غيره . . . الخ ما الذى يرجح خطا على خط ؟ أشياء كثيرة منها الاحتكاك ، ومنها موقف الآخرين . أنا يمكن أكتشف أنى لم أفتح قضايا هامة . لكن افرض أننى لا أريد أن أكرر أشياء حامية أو قضايا تكون مطروحة . لكن لن أستطيع إلا أن أعلن رأيى ، وإلا أحكم على نفسى بالانعزال . وهذا أعتقد أنه سبب من أسباب انحسار اليسار وليس اختفائه . فهناك قضايا مطروحة بالفعل لا أستطيع أن أقول لا هذه القضايا غير مطروحة ، وأنا رأيى أن القضايا المطروحة هى كذا . هذا غير مفيد . فأنا أريد أن أقول إن هذا التفكير قد يكون موجوداً ــ وإنه موجود فعلاً ــ وأنا لا أرى أنه هو التفكير الأمثل المفروض أن يكون فى الحركة الطلابية سواء إسلامية أو غير إسلامية . لكن كيف يتغير هذا التفكير ؟ يتغير بالطريقة التى قلنا عليها . . بالحوار . وأعتقد أنه يمكن أن يكون هناك حل أيضا لموضوع الحوار هذا ، أو هناك شئ أساسى فى موضوع الحوار . فلو أن هناك دوائر للحوار مستقلة عن العمل السياسى اليومى ، يمكن أن يكون الحوار أفضل . الحوارات ليست ماذا سنفعل غداً فى المظاهرة ؟ أو فى مؤتمر الغد ؟ أنا لا أعتبر هذا حواراً . هؤلاء جالسون يتفقون على شئ وغدا يخالفه هذا الطرف أوذاك . الإسلاميون كانوا يخالفون واليساريون كانوا يخالفون اتفاقاتهم

أيضا . لا أريد أن أدخل فى تفاصيل ، لكن أريد أن أقول أننى أعتقد أن دوائر الحوار المستقلة تكون أنجح وأنجح إذا كنا نتناقش فى قضايا مثل قضية الثقافة . نتناقش فى قضية الثقافة الوطنية . ما هى الثقافة الوطنية ؟ وما معنى أننا نحن جميعا خارجون من مجال حضارى عربى إسلامى ؟ أعتقد أن المناقشة تكون للأشياء التى لها صفة الاستمرارية والمتتالية التى تخرج منها ، أو التوليدات التى تؤثر فى العمل اليومى . أعتقد أنها ستكون أنجح من مناقشة العمل اليومى نفسه وتكتيكاته . فيمكن أن هذا يكون داخل فى استراتيجية الحوار ، أو أن الذى يفكر أن يجرى حواراً يكون هذا فى جدوله .

وأعتقد أن هناك دوراً مهماً جداً وأساسياً لا نستطيع أن ننكره للجيل الوسيط الذى هو جيل د. أحمد ، جيل الباشمهندس . . لأنه جيل وسط بين الأجيال الصغيرة الجديدة التى لا زالت تدرك المعانى نتيجة التجربة اليومية ، والجيل الكبير الذى يمكن أن يكون بينه وبين بعضه البعض ثارات تاريخية تمنعه أن يتعاون ، أو أن أساساً قدراته الصحية والذهنية لم تعد تساعده على ذلك . أعتقد أن هناك دوراً محورياً لا يمكن أن ينكر ، وأمانة لا نعلقها فى رقبة غيرنا ونرحل ، لكن نقول أعتقد أن لهم ثقلاً كبيراً . . ثقل للجيل الوسيط فى دفع موضوع الحوار . وهذا يزيد العبء الموجود على الجيل الوسيط .

أما عن جدوى الحوار وهل يمكن أن نتحاور أن غير ممكن ، فأنا أعتقد أن الذى يعجبه الوضع لكن يريده أن يكون أفضل ، والذى لا يعجبه الواقع ويريده أن يكون أفضل ، كلاهما ما من سبيل أمامهما غير بالحوار وتحريكه . . أى ليس أمامنا إلا أن نفهم ، وأن نعرف ، وأن نحتك . وتنتج عن ذلك أشياء على المستوى البعيد . وحتى لو لم تنتج وأنا أشك فى ذلك . . لأن الاحتكاك بالتأكيد يغير وأنا أختلف عن غيرى ممن لم يحتك حتى لو لم يكن هناك تغيير ، فالاحتكاك فى حد ذاته ، والحوار فى حد ذاته ، مطلوب

وأساسي . ولا أملك أنا ــ إن ملك غيرى ــ ترف أن أقول « لا لن نتحاور » . أنا لا أملك هذا الترف . مع أنني ــ كما يقول د. أحمد ــ « التيار المسيطر ولا أحتاج أن أتعكز على السرير » . وأنا شخصيا ، وهناك غيرى كثيرون لجأ لصياغات د. أحمد لأنها أكثر توصيلا من الناحية اللغوية . فعلا عندما آتى أقول للإخوة الإسلاميين نحن لابد أن نتحاور وأجد الطرف الآخر لازال يتكلم الكلام الخاص بسنة كذا وستين ومستمر أيضا يقول نفس الكلام والتصنيفات ، سيقول لى الإسلامى : يا رجل أنت تتكلم عن ماذا ؟ إنما عندما آتى آخذه من يده وأقول له تعالى تحاور هكذا ، تعالى د. أحمد عبد الله أمامك ، أو فلان الفلانى أمامك . ستجده يقول لك هى الأموز هكذا لكن كذا . فقط كذا سيقول كلاماً مضبوطاً ومعقولاً . إذن وقتها يمكن للمسائل أن تخف حدتها قليلاً . لكن عندما تظل أنت ترمينى بشكل أو بآخر ، والحكومة تظل ترمينى ، وأنا داخلى تيارات أيضا مستمرة فى قولها دعك من هؤلاء الناس ، ماذا عندهم ؟ فما الذى تعتقدون أن مصيرنا سيكون ؟ فأريد أن أقول أننى شخصيا أعتقد أننا إذا كنا صادقين لا نملك ترف أن لا نتحاور ، ولكن ينبغى أن نتحاور . ينبغى أن نحتك . وينبغى بشكل سلمى أن نثقل على بعضنا البعض ، لكن لا نترك بعضنا البعض . لأن العملية أننا نحن الاثنين إخوة ، والبيت الذى يقع يقع إذا تشاجرنا . حتى لو تشاجرنا وضربنا بعضنا البعض وشددنا بعضنا البعض ، نظل نحن الاثنين إخوة . حتى إذا لم نكن نعرف أننا أخوة . لأن فى النهاية السلطة ، والعدو الخارجى يستفيد من شقاقنا المستمر . والذى أذهلنى جداً أن يأتى من زميل طالب فى السنة الثانية كلام عن عدم إمكانية أن توجد حركة طلابية واحدة . سنظل طوال عمرنا مختلفين . أى نضرب بعضنا البعض . من أين يأتون بهذه الإطلاقات الرهيبة ؟ .

أننى سأختم بنقطة « الأرضية الثقافية المشتركة » مرة أخرى لأنها قضية خطيرة جداً

ومهمـة . وأعتقـد أن جـزءا كبيـرا مـن التطـور حـدث فـى الإسلاميين من الجيل المتوسط أساساً ، والصغير يتطور أيضا لكن بمعدل قد يكون أقل . فعندما تحضر مثلا الجمعية العمومية لنقابة الأطباء التى عقدت يوم الجمعة ـ أول أمس ـ وتسمع شخصا أنا أعرف جيداً جداً خلفياته ، وأعرف أرضيته الثقافية . . إسلامى . أخ لى . تجده مستمراً فى الكلام ولم يخطأ أبداً فى أى كلمة ويظل يتكلم وبوضوح وبدافع عن « إرادة الناس فى اختيار من يمثلهم » وأننا ضد ضرب النقابات ، من هذا الجانب وهناك فى القاعة من يرفض هذا الكلام وصرخ ضده . مثل ما صرخ فى نقابة المهندسين أيضا (وإن كان المهندس أبو العلا ماضى يؤكد غير ذلك) . هناك هذا وهناك ذاك . لكن الذى ينبغى إضافته أن هذا لم يبدأ هكذا . أبو العلا ماضى لم يبدأ هكذا . لم يبدأوا هكذا . يعنى أريد أن أقول أن هناك تغيير فى لغة الخطاب ، تغيير فى المفاهيم ، تغيير فى النماذج التفسيرية . هذا الذى يحدث كيف أفسره ؟ أمر فى حاجة إلى تطوير كبير الإسلاميون ، طوروا فى كثير ، وقصروا فى الأكثر ، والإيقاع ينبغى أن يكون أسرع من ذلك أكثر ، ومقابل ذلك ينبغى كقوة فاعلة أن نربأ باليسار ، أهل الجدل ، وأهل التفكير والأطروحات النظرية ، أنهم لا زالوا يلفون حول أنفسهم فى أطروحات ثابتة ، تمنعهم من أن يروا تغييرات لا تحدث فقط فى التيار الإسلامى بل فى المجتمع من حولهم . وهذا يجعلهم فى النهاية يخسرون ، وغير قادرين أن يؤثروا فى جموع الطلاب ، ونحن أيضا كإسلاميين نظل نخسر . فنحن نبحث لا عن تحالف مع « حورس » وإنما عن وجود اليساريين . نقول أين اليساريون ؟ ابحثوا لنا عن شخص يسارى . نحن نقول لزملائنا هكذا . نقول لزملائنا الأصغر منا ذلك . اذهـب وهـات . إذا كنت لا تعرف أن تتكلم تعالى بهـذا الرجـل ليتكلم . . ليوقظ الناس الصامتين . حورس تجمع بعض الناس لأن هذا هو الجو المناسب

لها . فأريد أن أقول أن التطوير لا مهرب منه والحوار لا نملك ترف تركه .

أما بالنسبة لموضوع استقلالية الحركة الطلابية فأنا فرقت بين الارتباط العضوى والتعامل . قلت أن هناك ارتباطا عضويا وهذا مرفوض . أن تكون الحركة الطلابية مكبلة بالحسابات السياسية للقوى الخارجية تماماً . لكن مفهوم التعاون ـ أو التكامل ـ غير العضوى ـ الموجود بين العنصر الإسلامى داخل الجامعة والعنصر الإسلامى خارج الجامعة ، أو اليسارى ، أو غيره . المرفوض هو الارتباط العضوى ، لكن التعاون لا يمكن أن يوقف ولا أعتقد أن من الصالح إيقافه .

نقطة نهائية . نقطة الغوغائية والبرنامج الإسلامى ووضوح الأفكار الإسلامية . هنا مشكلة لابد أن تضعها فى اعتبارك ، وفكر كيف نحلها ؟ الحركة الإسلامية ـ الإخوان ـ لا يأخذون منفذاً شرعيا ، لا يأخذون حزباً سياسياً ، لا يأخذون منفذاً شرعياً للعمل السياسى ، وغير مطروح فى الأفق أنهم يأخذونه . والأستاذ محمد سيد أحمد تكلم فى هذا الموضوع وأنا احترمت الفكرة التى طرحها جداً ، وهذا أيضا يدل على أن ليس كل اليساريين لا يعرفون كيف يفكرون . الرجل طرح فكرة أن أحرجك . أنت اليوم ستنزل العراك السياسى لكن لن تنزل « بالإسلام هو الحل » مثل ما نزلت فى النقابات أول مرة ، نزلت « بالإسلام هو الحل » . ثانى مرة لن ينفع . ثالث مرة ، لن تسير . فنفس الكلام بالنسبة للحركة السياسية . أقول تريدنى أن أقدم برنامج ، اعطنى شرعية حزب . هذا هو الحرج الحقيقى الذى تستطيع أن تضعنى فيه كسلطة وكقوة أخرى . أن أكون حزباً وألا أكتفى بما معى الآن من العموميات ، وكلما تكون هناك قضية تحرجنى لأقول فيها رأيا ، وكلنا داخل الدائرة . يمكن أن تكون هناك اختلافات ضمنية لا أستطيع أن أحدد لها حدوداً لأننى لا أستطيع أن أدير خلافاتى بشكل ديموقراطى . . لأنى ليس عندى شرعية .

الحكاية مركبة . فكل ما تطرح عليّ قضية أقول فيها رأيه حتى لا أغيب عن السياق السياسى العام . لأننى ارتضيت أن الأفضل موجود وأريد أفضل . طارح نفسى ولن ألف حول نفسى أبداً . لا . أتحرك وأغير وأطور وأسير فى هذا الطريق . فى نفس الوقت حتى أعلن ، حتى أصل ، أبحث عن برنامج متكامل . عندى هذه الأزمة . عندى هذه المشكلة . واليوم أنا معك ، مع الذى يقول لابد أن يكون لنا أطروحات واضحة ونخسر الذى نخسره ونكسب الذى نكسبه . على الأقل الذى سنكسبه سيكون واضحاً ، وسيناضل معنا لفترة أطول ، وعشر عناصر فاهمين أفضل من عشرين يسيرون ولا يعرفون أين يسيرون ؟ لكن فى الحقيقة هذا الاعتبار لا يمكن أن يُمدّ على إطلاقه عندما تتحرك فى المجال السياسى . وهذا الكلام موجود على مستوى كل التيارات . فهذه مشكلة حقيقية أصفها وأقول أيضا لإخواننا اليساريين أن أدوات التحليل فى حاجة إلى تطوير فغير صحيح أن تيار مثل تيار الإخوان المسلمين فيه كثير من الغوغائية . غير صحيح . يمكن أنهم يقرأون فى اتجاه واحد ويقرأون على أرضية ثقافية معينة ، لكن يمكن إذا قدمت لهم شيئاً آخر سيتعلمون منه ويتحاورون حوله .

آخر ، يقرأ . لكن إذا جاءت من ناحية ثانية . أنا لن أسمع من فلان فقط . . وإنما سأسمع من فلان إذا قال أى شئ . وفلان هذا ليس بالضرورة الذى معى تماماً ، لكن الذى هو قريب . . الذى هو صاحبى . . الذى احتكيت به . . الذى نأخذ ونعطى مع بعضنا البعض ، وهذا يمكن أن يكون موجوداً يوما ما .

د. سالم سلام

لو سمحت . . هذه الأشياء أين تحدث ؟ الأشياء التى حضرتك تقول عليها الآن أين

تحدث ؟ أنا عائش في الجامعة . لا أرى من الإخوان المسلمين أى شئ غير العداء للمسيحيين وإثارة أن الإسلام مهدد بقضايا مثل البوسنة والهرسك وهكذا . أى لا يفعلون أى شئ وليس عندهم استعداد أن يتحاوروا . أى هم يريدون أن يثبتوا وجودهم وأنهم متواجدون فيلعبون بكلمة أن الإسلام مهدد ، وحلف الأطلنطى قال بعد انهيار الشيوعية أن الإسلاميين هم الذين يجب أن نضرب فيهم ، وهم الخطر ، والعداء للمسيحيين بطريقة بشعة جداً جداً ، تقسم الأمة إلى قسمين بشكل واضح . لا يفعلون أى شئ ، وضيقو الأفق ولا يتحاورون . أى أين الناس الذين تقول عليهم هؤلاء ؟ .

د. أحمد محمد عبد الله

هل أنت ترى د. أحمد مثلا نسخة من الشباب الذين عندك ؟ .

هناك بعض التهم التى لا يمكن الرد عليها . . مثل هذه التهمة . ماذا سأقول رداً عليها ؟ لن أستطيع أن أقول شيئاً . مثل أيضا عندما تقول لى أنا سأتعاون معك وسأتحالف معك لكن ما هى الضمانة أنك عندما تصل الحكم لن تستبد بى ؟ كيف إذن أدلل عليها هذه ؟ الضمانة أنك تظل موجوداً وتناضل ، وعندما استبد بك لا تسكت لى . أيضا ،عندما حضرتك تقول أين الإسلاميون الذين يتحاورون بينما لا ينشر غير فلان وفلان ؟ . الذى أستطيع أن أقوله لحضرتك ـ قد أكون صادقاً ولا أستطيع أن أدلل على صدقى فى الحقيقة ـ لا التيار الإسلامى فصيل واحد ، ولا الفصيل الواحد اتجاه واحد ، ولا الاتجاه الواحد قالب واحد . . بل تنوعات موجودة ، ومشكلة الشرعية هى التى لا تبرز الأمر للناس مثلما يكون هناك حزب شرعى وهناك اتجاهات واضحة ومحددة وكذا وكذا ـ أيضا لا أختفى وراء عدم الشرعية لكن أقول إن الأمر فيه توجهات مختلفة ، وهناك تيارات مختلفة ، وهناك آراء مختلفة . لكن لا أعرف كيف أدلل على ذلك ؟ .

د. علاء غنام :

سنحكى حكاية صغيرة ، ستأخذ دقيقة . فى يوم من الأيام كانت جامعة المنصورة ــ كلية الطب ــ يسيطر عليها الاتجاه اليسارى . فكان أى طالب أو أى اتحاد يظهر من كلية الطب هم بالقطع شيوعيون . فتمت مقاطعة هذا الاتجاه ولم نأخذ أى منصب فى اتحاد الجامعة ، واستولى على مجلس اتحاد طلاب جامعة المنصورة جماعات شباب الإسلام . وتمر السنوات أو تمر عدة شهور ونستطيع كيسار بمحاورتنا مع كوادر جماعات شباب الإسلام أن نخلق عاملاً جيداً جداً للحركة الطلابية . صحيفة كان اسمها « صحيفة جامعة المنصورة » بتذكرها د. سالم سلام ، وكان رئيس تحريرها د. عبد الحكيم عبد الرافع وهو كان أمير شباب جماعة الإسلام فى فترة فى كلية الهندسة . وحسبت هذه الصحيفة على التراث اليسارى للحركة .

أ. عادل الضوى :

بعد هذا الماراثون ، والرقم القياسى ــ ١٢ ساعة متصلة ــ لا يبقى غير أنه باسمى وباسم زملائى أعضاء المكتب التنفيذى ومكتب طلاب اتحاد الشباب التقدمى لحزب التجمع أن نشكر حضراتكم على تشريفكم بالحضور وباسمكم جميعا ــ وسيكون احقاقاً للحق ــ أن نتوجه بالشكر لثلاثة من الأصدقاء والزملاء الذين ساهموا معنا رغم أننا حاصرناهم فى الوقت وهم د. أحمد عبد الله والمهندس أحمد بهاء شعبان ود. إيمان يحيى ، وأيضا أضيف لهم من خلال حالة ذاكرتنا جميعا اليوم أننا اكتشفنا الأستاذ حسين زيان . أعتقد شكر هؤلاء الأربعة يتجاوز المسائل التقليدية .

وأعتقد أننا اليوم كبداية للحوار ، نحن كيسار تحاورنا مع بعضنا البعض . وبالمناسبة اكتشفنا أن هناك بعض التباينات فى وجهات نظرنا ــ اكتشفنا ــ فليكن . اكتشفنا أن

هناك صوتاً إسلامياً قابل للتفاهم والتعامـــل . ورغم أن هناك مرارات إلا أننى أحمـــل د. أحمد محمد عبد الله والمهندس أحمد الريدى رسالة من الطلاب والزملاء ـ طلاب الجامعة الحاليين ـ أنهم يدعون وأتمنى أن تصل هذه الرسالة ـ يدعون الطلاب الإخوان المسلمين فى الجامعة إلى إمكانات الحوار ببرنامج ، بجدول أعمال مشترك ، أو يمكن حوارات نحن نستضيفها ، أو يمكن حزب العمل يستضيفها ، أو يمكن الحزب الناصرى يستضيفها . من أجل أن يكون هذا تتويجاً حقيقياً . وقد نكتشف فى النهاية أنه ليس هناك إمكانية لهذا أو أنها موجودة .

نكرر شكرنا ، وأيضا نشكر أ. أحمد الجمال الذى شرفنا فى آخر جلسة .

ونحن نسعى أننا نكون أفضل وأن تكون مصر أفضل بجهود المخلصين والشرفاء .

تعقيب على المناقشات

تعقيب المهندس/ أحمد بهاء الدين شعبان :

يهيئ لى.. لم يعد أشياء كثيرة أتناقش فيها.. لأن الموضوع تقريباً تمت تغطيته. القضية التى طرحها د. علاء غنام هامة وهى موضوع حركة الطلاب جاءت من أين؟ أو نبت من؟ وهكذا. أعتقد أن الأمانة التاريخية على الأقل بالنسبة لى، أو بالنسبة للدكتور/ أحمد توجب الإقرار بموضوع أن حزبا ما أو جهة سياسية ما هى التى فجرت وولدت حركة الطلاب لم يكن أمرا وارداً. وأتذكر أنه طرحت فى فترة من الفترات بتأثير من أفكار هربرت ماركيوز فكرة حزب الطلبة.. أى أن الطلبة هم الذين سيبنون الحزب المناضل الثورى بعد الطبقة العاملة التى تم استيعابها وفشلت، وأشياء من هذا القبيل. وهذا يؤكد أنه لم تكن هناك قوة منظمة فاعلة أسست حركة الطلبة.

وبالنسبة لنشأة حركة الطلاب سنة ١٩٧٢، من واقع تجربتى على الأقل، ويمكن تجربة د. أحمد عبدالله، لم يكن وراءها حزب ما.. نشأت بعد ذلك تنظيمات وقوى سياسية أخرى كنوع من الزخم الذى صاحب انتفاضات حركة الطلاب، وهيأت مجالاً واسعاً جداً لكل من يريد فى وسط حركة الطلاب.. لكن الزعم بأن الفصيل الفلانى هو الذى خلق حركة الطلاب كذبة واضحة، ولا تحتاج أكثر من هذا التوصيف.

ودور منظمة الشباب فعلا (مثلما أشار كثير من الأخوة) دور مهم جداً على الأقل فى الفترة التى سبقت حرب ١٩٦٧م.. لأنه ربما يكون أغلب كوادر حركة الطلاب، أو عدد كبير جداً منهم كانوا عناصر فى منظمة الشباب، وقطعت صلتهم بالمنظمة فى أعقاب الهزيمة التى كشفت لهم بوضوح حجم الكذبة الكبيرة التى كنا نعيش فيها : نحن أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط وإسرائيل هذه سنهزمها فى خمس دقائق، ثم نكتشف فى النهاية أننا هزمنا هزيمة نكراء. وكان هذا هو الفاصل أو الفيصل فى العلاقة مع النظام الناصرى. والبحث عن دور استقلالى لحركة الشباب الجديدة.

والاستاذ محمد منير أثار قضية أنه أفضل شئ فعله الطلاب هو عمل تحالف مع الحركة الإسلامية. وأنا اختلف معه فى هذه المسألة. فلم يكن هناك أصلا حركة إسلامية بارزة جداً فى السبعينيات، لكن لو أن الآن حركة الطلب موجودة، وهناك تيار إسلامى، ليس هناك شئ اسمه أنك تتحالف، لكن على الأقل هناك برنامج للنضال المشترك إذا كانوا وافقوا عليه.

ما هو المانع ؟ إذا كانت جهة ما موافقة أنها تقف معك فى الدفاع عن الديموقراطية هل تقول لها لا؟ إذا كانت هناك جهة ما موافقة معك على الخروج بمظاهرة ضد إسرائيل لا تستطيع أن ترفض.. أن المنطق وقواعد العمل السياسى والذكاء والحنكة فى النضال يفرض عليك أن تبحث عن أى حليف حتى، ولو حول قضايا مؤقتة. وليس ضرورياً فى التحالف أن تتنازل عن رؤاك وأفكارك وبرنامجك طويل المدى. لكن حينما تفرض معركة في سياق يوجب البحث عن حلفاء وعن جبهة واسعة للأصدقاء فإن من الخطأ أن نرفض هذا التحالف، حتى مع الإسلاميين برغم كل ما نشير إليه من عزوفهم عن هذا المنهج فى نقابة مثل المهندسين.. وفى نقابة كل المهندسين المصريين بما فيهم من مسلمين وأقباط.. وهذا مصدر قوة وليس ضعفاً. فإذا كان من تعتبرهم منافسين يلجأون إلى أسلوب البحث عن جبهة واسعة من الأصدقاء فى معاركهم، وفى لحظة هم يحتاجونها، يكون من ضيق الأفق بالنسبة لنا ونحن فى لحظة ضعف ألا نبحث عن أصدقاء نتفوق بهم فى مواجهة سلطة غاشمة تحاول أن تعتدى على أبسط مقومات الديموقراطية. وأنا أتحدث الآن عن مسائل محددة. فحينما تكون هناك نقاط التقاء لا يجب أن أرفض أى حليف، ولو حليف مؤقت. وإن كانوا قوى غير ديموقراطية أو خلافة فهذه مسألة أنا لا أقول لك فيها تنازل عن هويتك فى مقابل الالتقاء بهذا الفريق. أنا أقول لك حينما تكون هناك معركة، هناك مصلحة مشتركة، أى معركة مثل نقابة المهندسين أو النقابات المهنية عموما هل من الصحيح أن اليسار ينعزل عنها بحجة أن هذه معركة الاتجاهات الإسلامية مع الدولة؟ أنا أتصور أنه لو حدث هذا الأمر – ولحسن الحظ لم يحدث تماماً – سيكون موقفاً خاطئاً جداً.. لأنك بهذا الشكل تبرز هذه القوة وحدها بأنها هى الوحيدة المدافعة عن الديموقراطية. وحتى إذا استشهدت فهى الشهيدة فى الصراع ضد السلطة الغاشمة، وأنت تعزل نفسك وتتحالف موضوعياً مع سلطة هى فى جوهرها غير ديموقراطية فى مواجهة قوى – مهما كان الخلاف معها – إلا أنها ستتعلم بالتجربة والخطأ ومرارة الحياة. على أى الأحوال، هذا موضوع يقبل النقاش.

وبالنسبة لموضوع أ. أيمن.. أنا لست ضد الترفيه فى الجامعة، لكن ضد أن يكون منهج الترفيه وسيلة لإلهاء الشباب عن الانتماء الوطنى والدور السياسى فى الجامعة. أما غير ذلك فلا توجد مشكلة. وأعتقد أنه فى الجامعة - أيامنا - كانت باستمرار تطرح قضية الترفيه كبديل، وحتى الاتجاه الدينى كان يطرح نفسه باعتباره بديلا لحركة الشباب والوعى السياسى فى الجامعة. وكان دائماً الشعار المرفوع هو الطالب طالب علم فقط. وهذا ينسجم مع رؤية التسلية وتمضية أوقات الفراغ للطالب بعيداً عن الانتماء السياسى.. لأن الانتماء السياسى مواقف وتضحيات.. فأنا لست ضد التسلية، لكن أنا فى النهاية ضد أن يكون هذا ضد النشاط الأساسى لحركة الطلاب، أو لجموع الشباب فى الجامعة.

وفيما عدا كل هذه المسائل أضم صوتى لكل الزملاء الذين يبحثون عن إحياء ذاكرة حركة الطلاب فى مصر.. وأعتقد أن علينا أن نسرع قبل أن تمتد يد الزمن لهذه الأجيال كما امتدت للسابقين. وأعتقد أنه يمكن أن تكون توصية مفيدة أن ينشأ عن هذا الحشد لجنة، أو مركز صغير، أو شئ من هذا القبيل لتأريخ حركة الطلاب، أو لجمع وثائقها... على الأقل تكون أمامنا إذا شاء أحد منا أن يستفيد بها، وعلينا نحن على الأقل بالنسبة لهذه المجموعة - التى هى مجموعة ١٩٧٢ - أن نقدم لهذا المركز إذا أنشئ - أو هذه الهيئة، أو هذه الجهة - كل ما نملك من وثائق أو رؤى فى هذا المجال. وهذا جزء مرتبط بغياب الذاكرة الوطنية العامة، وليس فقط عند الطلاب. فسنجد هذه المشكلة فى أوساط العمال والمثقفين والمهنيين وكل من له علاقة بتاريخ مصر.. يمكن أن نجد توثيقاً لتاريخ مصر فى إسرائيل، أو نجده فى أمريكا عند المخابرات الأمريكية، أو فى أرشيف المخابرات البريطانية، لكن لم نجد له مستقراً فى بلدنا. وبالتالى هذا الموضوع مهم. وأتصور أنه من المفيد جداً أن نصل إلى حل فيه مهما كان متواضعاً.

تعقيب د. أحمد عبد الله

سأنتهز فرصة الروح المتيقظة هذه، وأدلي ببعض التعقيبات على كل الإسهامات الجيدة التى تفضل بها الزملاء. وسأعطى الأخ حمدى جمعة مزية تذكر ما قاله.. لأنه آخر تعليق. وأود فقط أن أستشهد بما قال بخصوص جامعة قناة السويس. إن محاولة تأسيس حركة جديدة فى منطقة جغرافية جديدة فى إحدى مؤسسات التعليم العالى هى فعلا مختبر للبعد الأساسى فى حركة الطلبة. أما وأنى قد تأكدت أن البعد الأساسى هو فعلا بعد وطنى ديموقراطى قبل البعد النقابى، فلعل هذا يكون قد أوضح الكثير مما قلت فى بداية كلامى. بل أن الأمر قد وصل بجماهير الطلاب أحياناً إلى إنها تخجل من إعلان مطالبها النقابية لئلا يبدو الأمر انتهازية فئوية. فقد كان الطلاب حريصين دائماً على توضيح مسألة أن انتماءهم العام وطنى، وأن رغباتهم هى للصالح الاجتماعى العام، وأحياناً يخجلون حتى من أن يعلنوا مطالبهم الفئوية، خصوصاً أثناء فورات النضال الوطنى. ولذلك فإن الوثائق الطلابية الشهيرة لا تجد فيها أى مطلب طلابى فئوى. قد تجد فيها مطلباً عمالياً مثل الإفراج عن عمال حلوان.. لكن لا تجد فيها مطلباً طلابياً بحتاً. وليس معنى ذلك طبعاً التهوين من أهمية الجانب النقابى فى الحركة اليومية للحركة الطلابية. لكن أريد أن أقول من حيث ملمحها العام هو فعلا الملمح الوطنى الديموقراطى.

مسألة القيادة المؤدلجة (أى المنتمية لإيديولوچية).. أنت أشرت إلى أن القيادة دائماً مؤدلجة، وهذا شئ طبيعى. إن الكادر الطلابى يحاول ألا يكتفى بالشعارات العامة مثله مثل القاعدة الطلابية، أنه ليس واحداً من «عامة» الطلاب، وإنما هو واحد من «خاصة» الطلاب. وبالتالى يبحث له عن اختيار ايديولوچى إن القادة الطلابيين قد يكونون ماركسيين، يكونون إسلاميين، يكونون ناصريين، أو كما يريدون أن يكونوا حسب اختياراتهم. المشكلة ليست فى هذا، المشكلة هى فى فرض هذه الأدلجة.. أى فى الضغط على القاعدة الطلابية لكى تتبنى نفس اختيار الكادر الطلابى. هذا هو الإشكال الحقيقى الذى واجهته كل القوى السياسية فى مصر، وهى مدانة فيه.. ليست مدانة فى أنها اختارت اختيارا إيديولوچياً فهذه طبيعة الأشياء. وإنما مدانة فى إيقاع وتكتيك وتكنيك نقل هذا الاختيار للقاعدة الطلابية. نحن فى السبعينيات حاولنا أن نُشرِّك (نسبة إلى اشتراكى) نُشرِّك القاعدة الطلابية أكثر من

اللازم، وفيما هو سابق لأوانه كنا دائماً نفرض عليهم البعد الاجتماعي في تفكيرهم. كنا نحن أنفسنا نعتبر أن الطالب الذى ليس نصف اشتراكى أيضاً غير وطنى.

هذا فى اللاشعور على الأقل. الذى لا يتذوق أغانى الشيخ إمام وقصائد أحمد فؤاد نجم تكون وطنيته ناقصة جزءا. الذى وطنيته فقط شعارات عامة وتلقائية لا يكفى. وهذه تجربة جيلنا دون أن نستغرق فى حديث الذكريات. وأعتقد أن المسألة واضحة عند إخواتنا الإسلاميين حالياً. أسلمة القاعدة الطلابية بأسرع مما ينبغى، وبجرعة قد لا تتحملها القاعدة خارج الشعارات العامة.

(أنا آسف لشعار «أسلمة».. لأن هذا كلام د. رفعت السعيد، وأنا مختلف معه فى تسمية كل الإسلاميين «متأسلمين»، لكن أعتقد أن المصطلح يتماشى مع السياق الذى أقوله الآن). إن إخواتنا الإسلاميين الآن يأسلمون الحركة أكثر من اللازم. وهذا يمكن أن يحقق كسباً سياسياً وقتياً، لكنه على المدى الطويل يمكن أن يضر الحركة فى ملمحها العام الذى هو سبب بقائها بإنها حركة ذات بعد وطنى ديموقراطى، فإذا أصبحت اشتراكية أكثر من اللازم، إسلامية أكثر من اللازم، ناصرية أكثر من اللازم، غالباً تضعف على المدى الطويل.. لأنك هكذا تكون قد أعطيتها بعداً ليس هو ملمحها الرئيسى، وإن كان يشكل أحد أبعادها من خلال الكادر الطلابى الذى يقودها فى مرحلة أو أخرى.

وهناك تعليقات أخرى على ما تفضل به الأخوة المشاركون :

د. علاء غنام وضع ثلاثة أسئلة بخصوص حركة السبعينيات.. أولاً هل كانت ابنا للحركة الاشتراكية أم للحركة الناصرية؟ أعتقد أنها كانت ابنا عاقاً لكليهما، وهذا الابن تربى فى حضانة الهزيمة، ولذا أصبح عاقاً. لم تكن الحركة الطلابية مقطوعة الصلة لا بالاشتراكيين القدامى ولا بالجهاز الحاكم الناصرى؛ لكن كان الحبل السرى بينهما رفيعاً بحيث قطعته الهزيمة فى ١٩٦٧.. بسبب نطاق الهزيمة نفسه.. شعارات عبدالناصر الكبيرة هذه هزمت فى ميدان القتال. زد على ذلك طبعاً أن الحركة الاشتراكية القديمة كانت مضروبة وضعيفة، وبالتالى تأثيراتها على الحركة الطلابية كانت من خلال تنقيب الجيل الشاب الذى يبحث عن بديل، فيبحث فى التراث أو يستحضر تجارب نضالية.. أكثر منها حركة مباشرة كما افترض موسى صبرى مثلا فى كتابه أن «أولاء الاشتراكيين القدامى هم الذين صنعوا الحركة الطلابية الجديدة». هذا غير صحيح فأولاد الشوارع هم الذين صنعوها وليس أولاد الاشتراكيين القدامى وإن شارك طبعاً بعض أبناء الاشتراكيين القدامى بدرجة أو بأخرى.

وسؤال آخر : هل شعارات الحركة كانت تعبيراً عن وعي متجاوز للقاعدة الطلابية؟

الإجابة عندى نعم.. بالنسبة للكادر الطلابى شعاراته كانت متقدمة.. لأنها لم تكن فقط رفع شعارات، وإنما كانت البحث عن بديل ايديولوجي متكامل.. فكان يفترض أن من العيب أن يكون الفرد منا وطنياً بمجرد أن يقول كلمتين عاميتين.. لزبد أيضاً أن يكون له إيديولوجية متكاملة ويدافع عنها بتفاصيلها، فهذا لزوم القيادة لكن بالنسبة لكادر طلابى آخر، وهذه نقطة أريد أن أوضحها للتاريخ، كان يرفع شعارات وطنية بسيطة ولم يكن له اختيارا ايديولوجي. فقد كان ما بين التلقائية، وما بين البحث عن اختيار ايديولوجي. وأنا أذكر الأخ أحمد بهاء فى أوج ما كنا نصطدم بالسلطات، وكذا خارجين من تجربة اللجنة الوطنية وانتفاضة يناير ١٩٧٢ وخارجين من السجن أيضاً بدون استغراق فى حديث الذكريات - ذات مرة - كنا جالسين فى نادى اتحاد طلاب جامعة القاهرة، وكنا فى أوج الاتهام بالشيوعية وكان لوننا أحمر غاقع جداً بالنسبة للسلطات فإذا بأحمد بهاء يقول لى : «هذه الحكومة مجنونة.. نحن لازلنا نبحث عن فكر». هذه هى الحقيقة.. كنا لانزال نبحث عن فكر.. لكن عادة التصنيفات الأمنية فى مصر تستبعد تصنيفك قبل أن تصنف فى الواقع الموضوعى فعلا. فتصبح «الكوفية الحمراء» ذات دلالة عندهم رغم أنها م تكن ذات دلالة عند صاحبها غير اتقاء البرد! وبالنسبة للنوع التلقائى من الكادر الطلابى أذكر نموذج الأخ أحمد هشام عبدالقادر فى هندسة القاهرة وهو من العناصر التى لعبت دوراً مهماً جداً فى الحركة، ولم يكن له اختيار ايديولوجي حاسم حتى وصل لثلاثة أرباع الدور القيادى الذى لعبه. كان يرفع شعارات وطنية عامة، وكان عنده وعى عام أى أنه كادر عام وقيادة طلابية، لكن لا تستطيع أن تقول أنه اشتراكى أو ناصرى أو ليبرالى أو إسلامية.. لا يوجد له عنوان غير أنه وطنى ديموقراطى وانتهينا - هذا إذا ارتأيت أن تختار عناوين أو يافطات تسمى بها الناس.

وعن السؤال الخاص بهل تبلور الفكر قبل الحركة أم فى سياقها؟ أعتقد أن الفكر يبدأ تكوينه طرح تساؤلات.. تشككات فى الواقع. التساؤلات طرحت قبل انطلاقة حركة الطلبة.. أى فى سياق النظام الناصرى نفسه حتى قبل هزيمة ١٩٦٧.. كانت هناك تساؤلات.. «الفأر كان يلعب فى صدر» جيل الشباب بالذات بسبب بنيان الدولة البوليسية بسبب أن هذه دولة مخابرات.. أنك تخاف أن تتكلم فى الشارع حتى لا يبلغ أخوك عنك.. من أجل ألا يرسلونك للسجن الحربى، هذه المسائل كلها جعلت التشككات والتساؤلات بخصوص صلاحية النظام السياسى مبكرة، حتى قبل انطلاق الحركة الطلابية

لكن مع انطلاق الحركة الطلابية، خصوصاً مع الهزيمة ونطاقها الفظيع، بدأ طرح الشعارات البديلة، بل والايديولوچيات البديلة.. أى قبل وبعد وفى نفس الوقت.. فى عملية تاريخية معقدة.

أما بالنسبة للأخ رماح أسعد فهو قد ذكر أيضاً عدة نقاط أحب أن أعلق عليها.. قال أن حركة فبراير ١٩٦٨ كانت فى إطار النظام السياسى، بينما نوفمبر ١٩٦٨ كانت متمردة على النظام السياسى لكننى أريد أن أطرح تعديلا لهذا التصور الذى يشاركه فيه آخرون خصوصاً من اليسار.

أولاً : حركة فبراير ١٩٦٨ من حيث الشرارة كانت تلقائية مرتبطة بالإحساس بالهزيمة.. مرتبطة بموضوع أحكام الطيران التى اعتبرها الناس أحكاماً لينة.. فحدثت انتفاضة عمالية تلقائية وقتها.. وكانت هناك إشاعات أن على صبرى هو الذى أخرج العمال. وإنما كانت تخرج من داخل النظام إشاعات تخدم النظام فى نهاية المطاف.. خصوصاً إذا الحركة فرضت نفسها على الواقع فيقولون بلى نحن الذين عملناها. حقيقة الأمر إنها كانت شرارة تلقائية ليست من قلب الناظم ولا يحزنون. لكن من حيث الاحتواء كان ها صلة بالنظام.. طبعاً لأن النظام حاول من خلال عناصره فى منظمة الشباب أن يسيطر على حركة الطلبة، ثم عجل فى بناء التنظيم الطليعى من أجل استيعاب حركة الطلبة. وحاول أن يستقطب بعض العناصر العمالية والطلابية القيادية. وفى خطبة عبدالناصر فى حلوان سنة ١٩٦٨ التى أعلن فيها برنامج ٣٠ مارس، قال أنا جئت حلوان «بالذات» من أجل أن أثبت أن العمال الذين عملوا المظاهرات مازالوا على ولاء للثورة.. أى أنه فى التكتيل والأداء السياسى كانت له قدرات احتوائية رغم أنه مهزوم فى ميدان القتال والجزء الرئيسى فى هذه القدرات هو أن عبدالناصر كان رجلا كبيراً فى تاريخنا، ليس شيئا هيناً.. عبدالناصر رغم أنه كان طاغية ومستبداً، لكنه كان صاحب تجربة ضخمة فى تاريخنا، وطنية وقومية فكان لازال لديه نفس أن يستطيع أن يحتوى بدرجة أو بأخرى.. لكن لم يحتوى بدرجة مائة بالمائة بدليل انطلاق حركات طلابية أخرى فيما بعد أكثر تمرداً بدءا من نوفمبر ١٩٦٨.

ثانياً : هناك إشكالية بخصوص حركة نوفمبر ١٩٦٨، لأن بعض زملائنا فى اليسار مصرون على أن هذه الحركة يمينية.. لأن بعض العناصر الطلابية التلقائية التى قادت هذه الحركة أصبحت يمينية بعد ذلك، وبعضها اتهم كذلك بالتعاون مع الأمن. وأنا رأيى أن هذا ظلم للحركة فى الحقيقة.. وأن الحركة كانت فى جوهرها تلقائية مثل فبراير حادثة معينة.. طلبة البوليس قتلهم فى المنصورة.. فبلغ الخبر اسكندرية، فانتفض الناس من الغضب. فهذه الحركة ليست يمينية أو يسارية، هى نفس الحركة

اسكندرية، فانتفض الناس من الغضب. فهذه الحركة ليست يمينية أو يسارية، هى نفس الحركة الطلابية بمضمونها الوطنى العام.. لأنه كانت هناك حادثة معينة فيها شراسة من رجال الشرطة.. فيها قتل للناس. فالحركة اتضح فيها رفض الدولة البوليسية.. فكانت الهتافات ضد وزير الداخلية شعراوى جمعة. أخونا تيمور الملوانى قال «ياشعراوى يا سفاح دم الطلبة غير مباح»، وأشياء من هذا القبيل، أيضاً أريد أن أقول أن نطاق العنف فى نوفمبر ١٩٦٨ كان من أسوأ ما يمكن من ناحية الدولة.. لأن مظاهرة ٢٥ نوفمبر فى اسكندرية قتل فيها ستة عشر شخصاً منهم طفل عمره اثنتا عشرة سنة. فهذا نطاق واسع من الشراسة من رجال الشرطة، والذى عرفناه أيضاً من الحقائق التاريخية التى تكشفت من الوثائق بعد ذلك أن الجيش أيضاً أخرج طائرات هليوكوبتر تحوم فوق كلية الهندسة والمظاهرات حتى تخيف المتظاهرين.. أى وصل الأمر بالنظام الى تحريك جزء من الجيش فى مواجهة هذه الانتفاضة، وبعد ذلك تم تأسيس الأمن المركزى. ومن الأشياء الطريفة أيضاً التى أريد أن أقولها أنه مع كل انتفاضة طلابية كان يتم عمل موضوعين بشكل تلقائى :

١ - تظهر قضية جاسوسية مع اسرائيل تخرج من الملفات أثناء التحرك الطلابى.

٢ - فى نهاية الانتفاضة يتم عمل مؤتمر قومى للاتحاد الاشتراكى، ليبدو كما لو كانوا يرون الموضوع سياسياً، ويلزمه الاحتواء السياسى «الشيك».. لكن للأسف داخل المؤتمر القومى هذا معظم الكلام الذى يقال كان كلاماً فجاً جداً.. هذا بجانب نغمة الجاسوسية لإسرائيل.. الطلبة إذن عملاء، وخونة، ويمارسون العنف كان هذا هو جوهر الخطاب العام لرجالات النظام السياسى، باستثناء رجال شرفاء لابد أن نذكرهم بالاسم منهم د. حلمى مراد نفسه الذى فى نوفمبر ١٩٦٨ كان الطلبة يهاجمونه باعتباره المسئول عن التغيير فى قانون التعليم الذى أثار المظاهرات. لكنه هو والمرحوم د. أحمد السيد درويش ـ كان نائباً لرئيسى حزب الأحرار حتى فترة قريبة وتوفى فى العام الماضى ـ الذى كان رئيساً لجامعة الاسكندرية. هؤلاء الإثنين هم اللذان وقفا فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى لعبدالناصر وقالوا له هؤلاء طلبة وطنيون وممتازون ولم يكسروا زجاجاً واعتصامهم كان سلمياً... إلخ. فهناك ناس شرفاء بما فيهم د. حملى مراد نفسه، رغم أنه هوجم بشدة، لكن كلامه كان رصيناً بالمقارنة بما قيل وتستطيعون معرفته عندما تقرأون نصوص الكلام الذى قيل فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى وقتها. وعلى العموم رأيى إجمالا أن حركة نوفمبر ١٩٦٨ لم تكن يمينية ولا يحزنون

باعتراف الدكتور عبدالوهاب البرلسى الذى هاجمها فى حينه ثم عاد أخيراً فى حديث صحفى ليقول أنها مثل حركة فبراير ١٩٦٨.

الأخ رماح أيضاً قال شيئاً عن طلبة الجامعة الأمريكية. وأريد أن أوضح بعض المعلومات من أجل ألا نكون ظالمين أو نكون منصفين طبعاً طلبة الجامعة الأمريكية مختلفين اجتماعياً عن طلبة باقى البلد حتى الآن، والآن الوضع أسوأ لأنهم يدفعون سبعة آلاف دولار مصاريف. فانتماؤهم الاجتماعى قد لا يسمح لهم بانتماء وطنى، لكن هذا لا يسرى على كل طلبة الجامعة الأمريكية.. ففيهم شبان ممتازون.. أى وطنيون من الطراز الرفيع وأنا أذكر فى فترتنا ١٩٧٣/٧٢ كان هناك النادى العربى الذى كان فيه أخونا خالد ابن الاستاذ/ خالد محمد خالد ومجموعة من الشباب كانوا يقومون بدور ممتاز ويصدرون مجلة اسمها «الربابة» كانوا يحاولون أن يدفعوا أقصى ما يستطيعون طلبة الجامعة الأمريكية ضمن السياق الوطنى العام. فهذا شئ لابد أن نذكره لهؤلاء الناس حتى إذا كانوا فى الجامعة الأمريكية. ثم عن جزئية الانتماء الاجتماعى هذه، أنا أريد ألا نكون ميكانيكيين فيها.. أن كل من كان فقيراً يأخذ موقفاً وطنياً راديكالياً، وكل من كان غنياً يكون ضد الوطنية. لا ليس بالضرورة. أحمد نبيل الهلالى غنى، ومع ذلك يقف مع الفقراء. وهناك أولاد فقراء سيموتون من أجل أن يعملوا ثروة بطرق غير مشروعة. أى الموضوع ليس بهذه البساطة. وإلا كيف تفسرون لى أن طلبة الجامعة الأزهرية الذين فيهم أغلبية من أبناء العمال والفلاحين لا يتخذون مواقف اجتماعية راديكالية، بل مواقفهم محافظة؟ إذن لنقل أن نظام التعليم الذى يجد نفسه فيه الطالب الأزهرى، أو الثقافة التى تنقل إليه هى المحافظة. فالموضوع ليس دائماً موضوع البعد الاجتماعى أو الانتماء الطبقى فقط لا غير. هذه الميكانيكية أعتقد أنه لابد أن نتجاوزها فى مجال الفكر ونحن نقوم بتقييم الأوضاع والحركات التاريخية.

د. إيمان يحيى قال نقطة وجيهة فى الحقيقة.. ليس مهماً حركة الطلبة بنت من أو خالها من؟ هى بنت الظروف الموضوعية فعلا، وأساساً الهزيمة فى ١٩٦٧. وكونها بدأت من داخل النظام، هذا لا يدينها. لكن أنا أريد أن أقول أن كلمة «النظام» نفسها نحن نكثر من استخدامها دون أن نحسن تعريفها. أنا أريد أن أسأل حضراتكم : الجلسة التى نجلسها هذه، ضد النظام أو فى إطار النظام؟ كلمة «النظام السياسى» بالمعنى الدارج تتعرض لنقد كثير، لكن نحن فى هذه الجلسة نعمل فى إطار النظام حتى لو كنا جالسين نشتم النظام، حتى لو كنا متمردين على النظام، لكن نعمل فى إطار النظام بمعناه

الواسع. فهنا لابد أن نميز فى مصطلحاتنا ما بين أن نقول الحكومة، أو الطبقة الحاكمة، أو الصفوة الحاكمة، أو مجموعة الحكم، أو طاقم الحكم، أو عصابة الحكم... إلخ لكن لا نتبسط ونقول النظام دائما فنحن أنفسنا جزء من النظام، وكثير مما نفعل هو فى الحقيقة دفاع عن النظام، ولس ضد النظام. إذا تستثير اللاشعور عندك – أو تستفتى قلبك – تجد أن كثيراً مما نعمله هو محاولة لإصلاح الوضع القائم لكى يكون أفضل.. لكن ليس بالضرورة تدميره بالكامل، حتى بالنسبة لمن يأخذ موقفاً راديكالياً.

أما عن مسألة «النقابية» فنحتاج أن نعرف معنى «االنقابى». فليست أية أطروحة مطلبية نسميها نقابية. الشعب المصرى مثلا انتفض فى ١٩٧٧ على مسائل الخبز والزيت والسكر. هل هذا موقف نقابى أم موقف طبقى، أم هو موقف ديموقراطية سياسية؟ ماذا نحسبه بالضبط؟ هنا يستحسن – خصوصاً فى سياق الحركة الطلابية – ألا نستخدم كلمة نقابية.. إلا إذا كان هناك بعد مؤسسى institutional. أى الدفاع عن مصلحة طلابية معينة من خلال مؤسسات طلابية أو جبهة طلاب. بجهدهم، أو موجودة بالقانون، أو موروثة من الأوضاع الجامعية.. إلخ. لكن ليس أى مطلب اجتماعى، أو به لقمة عيش نسميه نقابياً. لا يأخذ المطلب كلمة نقابى إلا إذا أخذ بعد الدفاع عن المصلحة بشكل جماعى كلى Collective interest defence or representation أى تمثيل المصلحة أو الدفاع عن المصلحة بشكل جماعى، ويا حبذا لو كان مؤسساً. آنذاك فقط نسميه نقابياً وحركة الطلبة دائماً كان فيها مطالب للطلاب من أول الوجبة فى المدينة الجامعية إلى أتوبيسات نقل الطلاب. لكن ليس بالضرورة هذه كلها نسميها مطالب نقابية طالما لا يتم عرضها من خلال مؤسسة نقابية قوية أو حتى فى بدايات التكوين.

أما بخصوص الناصريين فهناك مشكلة بخصوص تناول وضعهم فى سياق الحركة الطلابية. ففى ١٩٦٨ كان من الصعب اعتبار أن هناك فئة معينة اسمها الناصريون لأن البلد كانت كلها ناصريين، بحكم أن النظام كان مسيطراً على الأمة كلها. وعندما تمرد الناس، تمردوا وهم ناصريون يحبون عبدالناصر ويكرهون الذين مع عبدالناصر، ومؤسسات عبدالناصر وهزيمة عدالناصر، لكن لازالوا يحبونه بعض الشيء. وقد بدأ تمايز فئة الناصريين بعد انقلاب السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١، فأصبح هناك فريق سياسى اسمه الناصريون. فى انتفاضة ١٩٧٣/٧٢، إخواننا الناصريون كانوا معادين للانتفاضة مع الأسف الشديد. معادين لأنهم يرون التيار الماركسى هو الذى يقودها. وإلى حد ما هذا صحيح. أى إلى

حد ما كان جزء كبير من الكادر الطلابى أميل إلى الماركسية، لكن هناك جزءا آخر لم يكن ماركسياً ولا يحزنون، وإن كان مصنفاً أحمر. فإخواننا الناصريون كان عندهم حساسية شديدة من هذه المسألة. فتقريباً وقفوا ضد الحركة، لكن أيضاً بتناقض وجداني.. لأن هناك مطالب وطنية عامة مطالب يصفها لنا الأخ وائل عثمان فى كتابه «أسرار الحركة الطلابية» بأنه رغم أنه إسلامى لكنه كان غير قادر على أن يقنع الطلبة أن الذين يقودونهم خونة بسبب أن المطالبة التى يرفعها الخونة مطالب وطنية! إشكالية وجدانية عند وائل يقولها فى الكتاب، لكن ذات دلالة.

وهذا يدل على أنه بغض النظر عن إيديولوچية الكادر الطلابى وملته الفكرية فإن المطالب التى كان يطرحها كانت مطالب تعبر عن الواقع الموضوعى.. مطالب حقيقية وكان لها صدى جماهيرى.. وبالتالى فهنا بعض الناصريين أيضاً كان عندهم إشكالية التناقض الوجدانى هذه.. ما بين أنهم ضد الكادر الذى يقود الحركة، خصوصاً وأن فى الأمر جزئية منافسة مهنية بين أولاد الكار لأن الناصريين تعودوا أن يقودوا ولا يقادون.. لأنهم أساساً خارجون من مؤسسات نظام حاكم.. من السلطة.. وهذه العقدة عندهم حتى الآن.

وانظر إلى الحزب الناصرى الآن.. ستجد «عقدة السلطة» مازالت منعكسة فى بنية الحزب. فكانت هذه المسألة ظاهرة فى ١٩٧٣/٧٢. لكن كثيراً من الناصريين كانوا دائماً يستفتون قلوبهم، ويأتون يقولون نحن واثقون من وطنيتكم، وأنتم ناس ممتازون، ولكن.... إلخ. فشاركوا فى الحركة الناصريون فعلا شاركوا فى الحركة. مثل ما كان فى الأربعينيات حيث كان يقف مصطفى مؤمن والإخوان يلعنون أسافل الشيوعيين الذين يقودون الحركة، ثم يأتون يوم المظاهرات ويذهب مصطفى مؤمن والشباب الإخوانى لينزلوا المظاهرة مع الشيوعيين الذين كانوا يشتمونهم أول أمس! لأن هنا السياق الوطنى الذى يفرض نفسه على الجميع.

وأنا مع من قال أن «شباب الإسلام» فى هندسة القاهرة سنة ١٩٧٣ كانوا مصنوعين بالفعل. لا تستطيع أن تقول إنهم الآباء الشرعيون للتيار الإسلامى الحالى.. لكن هناك صلة ما هناك حبل سرى ما لأن الشعار العام إسلامى. وهكذا كانت البداية فى جامعة القاهرة بالذات وطبعاً هناك فرق بين وجود التيار واستخدام التيار. هذه النقطة محورية فى تصورى. التيار موجود. هذا شئ يعبر عن الواقع الموضوعى. أما استخدام التيار بواسطة السلطات الموجودة فهذه قضية ثانية.. إلى أى مدى يستجيب هذا

التيار لهذا الاستخدام؟ هذا موضوع آخر متروك لاختياراته السياسية وتكتيكاته السياسية. إلى أى مدى يضر بذلك باقى أطراف الحركة الوطنية والديموقراطية؟

أيضاً التاريخ سيحكم عليه مثل إشكالية الإخوان فى الأربعينيات. الإخوان فى الأربعينيات كانوا كتلة كبيرة مهمة جداً فى حركة الطلبة.. رأسها برأس كتلة الوفد والشيوعيين. والكتلتان كانتا متماثلتين فى القوة تقريباً. لكن اشكالية الإخوان أنهم كانوا انقساميين لا يتحملون أن واحداً ليس غيرهم يقود مظاهرة أو اجتماع أو مؤتمر لا يتحملون أن يكونوا ضمن آخرين. نحن وفقط. لكن وقت الجد، عندما كان الوضع يفرض الجماعية، كانوا يشاركون ضمن الجماعة. وهذا مطروح على التيار الإسلامى فى مصر اليوم. هذا هو التحدى الحقيقى بالنسبة للتيار الإسلامى فى مصر... سيشارك مع الباقين أم مصر على تمييز نفسه وعلى أنه صاحب الحقيقية المطلقة؟ وأنه حزب الله والباقين حزب الشيطان؟ أم هو كبر عقله على ذلك من خلال نضجه والتجربة والمحن العديدة التى مر بها الإسلاميون فى سجون البلاد ومعتقلاتها؟ هذه قضية مطروحة للاختيار فى سياق حركة الطلبة والحركة العامة فى المجتمع.

وهناك مداخلة حول أن هزيمة اليسار مدوية. نعم هزيمة اليسار مدوية.. خصوصاً اليسار المحلى الذى ارتبطت عواطفه بالتجربة العالمية لليسار، فوقع معها.. حتى لو لم يكن قد أخطأ أخطاءها الكبرى.. ففى الاتحاد السوفييتى الحزب الشيوعى كان فى السلطة.. وتوجد أحزاب شيوعية فى بلادنا لم تكن أبداً فى السلطة. لكنها ربما تكون قد دفعت ثمن قمعية الحزب الشيوعى السوفييتى وهو فى السلطة وسقوط نظام الدولة السوفييتية كله. لكن أريد أن أوضح نقطتين مهمتين :

١ - فى أى مجتمع سيظل هناك يسار دائما. هناك أحد على الخريطة يقف فى هذه الناحية دائماً. هذا اليسار يمكن أن يأخذ أشكالاً.. مختلفة يمكن أن يكون اشتراكيا، يمكن أن يكون ناصرياً، يمكن أن يكون إسلامياً حتى، يمكن أن يكون تحت أى عنوان.. غير مهم العنوان.. المهم المضمون. اليسار هو حركة الاحتجاج الاجتماعى التى تقف على آخر حدود النظام الاجتماعى وتريد أن تغيره فى أقصى نطاق ممكن. فدائماً سيكون هناك يسار. لن يستطيع أحد أن يقضى على اليسار.

٢ - أن اليسار فى سياقه الوطنى هو جزء أساسى من القوى الحية فى الأمة.

وهذا هو السؤال الذى يقلقنا : لمصلحة من يقوم الطاقم الحاكم بإماتة القوى الحية فى الأمة؟ بأية

مناسبة عندما يريد بعض الطلبة أن يعملوا مظاهرة تضعهم فى السجن؟ بالعكس نقول لهم أحسنتم إن كنتم قلقين على البلد. اعملوا مظاهرة يا شباب وهذا يجعلنى أيضاً أتذكر هامشاً من الذكريات التاريخية فى الطريق. أن الباشمهندس سيد مرعى – وهو أمين الاتحاد الاشتراكى فى ١٩٧٢ – طوال ما كنا جالسين معه كان الرئيسى السادات يتحدث فى التليفون وهو يذهب ليرد عليه ويأتى ليقول : «يا شباب الريس زعلان من الذى تفعلونه هذا». فأنا قلت له يا باشمهندس الريس مفروض أن يكون مسروراً من الذى نفعله.. لأن هذا شباب الأمة ومهتم بمصيرها. لابد أن الريس يكون مسرور من الذى نفعله وغير متضايق والكلام البسيط الذى قلته وقتها مازلت عنده حتى الآن. أن هذه هى القوى الحية الأمة لمصلحة من تدمر القوى الحية فى الأمة؟ وهذا يسرى – بالمناسبة – على كل النشيطين بما فيهم الإسلاميون على كل عيوبهم. فهم ناس يثبتون حيوية الأمة. شباب قلق يريد أن يفعل شيئاً.. يقول نحن هنا وأين نذهب؟ ومن أين نجئ؟ وبدون ذلك تكون الأمة قد ماتت بالفعل. فاليسار جزء من القوى الحية فى الأمة، وهذه هى المسألة المهمة. لا أحد يستطيع أن يقضى عليه.. لأنه جزء من القوى الحية فى الأمة، وسيظل يقاوم أو يشاغب. المهم أن يعرف كيف يجدد نفسه ويجتهد ويتفاعل مع باقى القوى الحية فى الأمة بحيث أن كتلة القوى الحية فى الأمة كلها تنتصر فى يوم من الأيام على الموات الموجود لدى القوى المتنفذة فى الأمة.

ولا أريد أن أتوقف كثيراً عند موضوع الموقف من المجموعة الطلابية المسماه «حورس».. لأن هذا يذكرنى بأشياء تاريخية فهذا شبيه قليلا بشباب الإسلام فى هندسة القاهرة. أن يكون هناك ميكانيزم للسيطرة على الجماعات الطلابيية التى هى مخلوقة أساساً من أجل أن تضرب جماعات طلابية أخرى. فموضوع حورس الإشكال فيه أنه يشير إلى مدى إفلاس جهاز الحكم فى مصر حالياً وأنه مضطر – من أجل أن يستقطب قطاعاً من الطلاب، ويكون كادراً خاصاً به – مضطراً أن يروقهم ويسطلهم ويفرفشهم ويمنجههم! لا يستطيع أن يقنعهم بإيديولوجية سياسية بديلة.. غير قادر أن يضع فى عقلهم كلمتين من الايديولوچيا، غير قادر أن يقترح عليهم مشروعاً فكرياً. لا شئ إطلاقاً. يمكن عبدالناصر كان عنده الميثاق الوطنى. يمكن الاشتراكيين كان عندهم ألف كتاب مكتوب فى الإيديولوچيا. لكن واضح أن النظام حالياً ليس عنده شئ يفعله غير أن يسط بعض الشباب، فيضربوا له الأولاد الآخرين! فهذا فعلا دلالة إفلاس.

الكلمة الأخيرة أنه لعلنا نستوعب درس التاريخ.. أنه مثل ما نحن في يوم من الأيام في الحركة الاشتراكية وددنا أن نفرض على القواعد الطلابية أنها ستتشرك قبل الأوان، أي تكون اشتراكية مبكراً قبل النضج، إخواننا الإسلاميون يعملون نفس الشيء الآن. فما علينا أن نطرحه كرؤية وطنية موضوعية عامة هو أن نقول : يا إخواننا.. يا كل التيارات السياسية.. يا جميع الملل ركزوا على البعد الوطني الديموقراطي في الحركة الطلابية كبعد أساسي. أضيفوا له بعض رؤاكم الاجتماعية. أهلا وسهلا.

أضيفوا إليه كفاحاتهم النقابية من أجل صالح الطلاب ولقمة عيشهم. أهلا وسهلا. لكن اجعلوا موضوع تركيزكم الأساسي هو الجانب الوطني الديموقراطي، ومارسوا الديموقراطية داخل الجامعة. طالما الجامعة أو القوى الطلابية لا تمارس الديموقراطية داخل الجامعة، لن يقتنع أحد في المجتمع بأن هذه القوى ديموقراطية، وأول من لن يقتنع هو النظام السياسي نفسه.. سيستطيع أن يتصيد الطلبة من خلال أخطائهم الخاصة؛ وقد يؤكد هذا أطروحة الأخ هاني الحسيني أنه لابد من استقلال التيارات العاملة في إطار الحركة الطلابية استقلالا بقدر.. أي أنا لا أقول للإسلامي الذي في حركة الطلبة اقطع صلتك بالإخوان، ولا أقول لليساري الذي في حركة الطلبة اقطع صلتك بالتجمع. هذا كلام غير واقعي وغير منتج. بل أقول له افهم يا أخي الساحة التي تعمل فيها. هذه ساحة ذات طبيعة خاصة طلابية شبابية وطنية ديموقراطية. فعليك أن تؤدي في حدود هذه الاعتبارات والمعايير.. لا تفرض اخوانيتك أو جهاديتك أو يساريتك على هذه الساحة التي تعمل فيها. أول شروط النجاح في العمل العام أن تبدأ باحترام السياق العام الذي تعمل فيه وتفهمه، ثم محاولة تغيره انطلاقاً من هذا الاحترام والتفهم. آنئذاك فقط يمكن للحركة الطلابية أن تنطلق خطوات للأمام؛ وتكون خبرتنا قد صنعت نوعاً من التراكم المفيد على المدى الطويل.

ومرة أخرى بخصوص الإسلاميين، مازال رأيي أن الإسلاميين حتى الآن يغلب عليهم طابع الشمولية والغوغائية،كل كلمة فاشية كاملة كبيرة. وأعتقد أن الفرق السياسية الأخرى أيضاً فيها ملمح شمولي في تفكيرها. اليسار في بلادنا - ونحن منه - شمولي في تفكيره. كثير من أطروحاتنا ثبت أنها خطأ، وكم من مرة اعتبرنا أنفسنا أصحاب الحقيقة المطلقة وأصحاب الفكرة الصحيح وكنا نقول أن «الأسلوب العلمي الوحيد» هو ما نقوله. لنا مصطلحات غريبة الشأن، فنحن أيضاً فينا ملامح شمولية، وعلينا أن نعترف بذلك، والتجربة الاشتراكية التي بشرنا بها البشرية ظهرت أنها سيئة عندما وصلت

أحزابها إلى السلطة وأقيمت تجارب شيوعية وماركسية سيئة للغاية بل أقيمت أنظمة قمعية ذبحت الناس. علينا أن نعترف – نتواضع ونعترف – بهذه الحقيقة. لا نملك الحقيقة المطلقة، ونحن أيضاً فكرنا شمولى مثل الآخرين الذين ننتقدهم، وعلينا أن نغير أنفسنا فى هذا المجال. والزملاء الذين يقولون لى عن تجربتهم المريرة مع الإسلاميين يفكرون فى إطار ساكن أو استاتيكى، وأنا أتعاطف معهم.. لأننى شخصياً ضربت من الإسلاميين، والأخ أحمد بهاء ضرب من الإسلاميين. بل نحن أول من ضرب «علقة» منهم لأننا نحن الجيل المبكر الذى بدأوا الضرب فيه.. جربوا فينا. ومع ذلك لا أستطيع أن أنظر للمسألة بالمنظور الضيق هذا. لأن المطروح هنا ليس استعراض تجاربنا الشخصية، وإنما المطروح هنا مسار الوطن ومستقبل الأمة. فبالمعنى الاستاتيكى الحركة الإسلامية السجل الخاص بها فى التعامل مع الآخرين سئ للغاية.. شمولى وعنيف وغير ديموقراطى. لكن النقطة هى : هل هذا سيكون خط المستقبل بالنسبة للحركة الإسلامية بشكل قاطع؟ من الذى يفتى بذلك بشكل قاطع؟ أنا أعتقد أن جزءا من تصرفات الحركة الإسلامية متوقف على الطريقة التى يتعامل بها الآخرون معها، ويقصد بالآخرين الدولة ونحن ، إذا الدولة سجنتهم وعذبتهم سيخرج منهم الكثيرون من ممارسى العنف، رغم أن عندهم أساساً ناساً لديهم عقيدة العنف من الأصل لكن من حيث انتشار عقيدة العنف سيتأثرون بمعاملة الدولة. أيضاً فى معاملتنا نحن لهم ستفرق. إذا أصرينا على اعتبارهم الأعداء الرجعيين المتخلفين. سنكرس عندهم هذا الخطاب وتأثيرنا عليهم سيكون سلبياً. لكن إذا حاولنا أن نرى الجسور المشتركة والقواسم المشتركة، ونحاول أن نؤثر عليهم مثل ما هم سيؤثرون علينا، ففى هذه الحالة المسائل قد تختلف. فبالمعنى الديناميكى التجربة المريرة فى التعامل مع الحركة الإسلامية فى مجال مثل المجال الطلابى لاتبرر افتراض أن هذه ستكون سمة المستقبل على وجه القطع، وإنما علينا أن نحاول بالتفاعلات أن نؤثر فى هذه الحركة بحيث أن الأطراف العقلانية نسبياً التى فيها تدفعها فى طريق أن تصبح جزءا أساسياً من المكون الديموقراطى فى بلادنا، إذا كنا نحن أنفسنا نعتبر أنفسنا داخل هذا الإطار الديموقراطى.

النقطة الثانية هى أن نعترف بالحقيقة.. أنه مستحيل أن يستبعد بعضنا البعض.. لا أحد سيستطيع أن يقضى على الآخر – بالبلدى يا جماعة – لا السجون أو التعذيب أو القوانين أو الضرب فى المظاهرات والمحافل الجامعية سيؤدى أن فريقا يستبعد الفريق الآخر، وبالتالى ليس أمامنا سوى نوع من التعايش. البعض منا بدأ يطرح التعايش مع اسرائيل بل التعايش مع الصهيونية. فيكون غير معقول أن يكون غير

مطروح أننا نتعايش فيما بيننا، بين الفصائل المختلفة داخل المجتمع الواحد مهما كانت حدة الخلافات الفكرية التي بيننا. المطروح هنا ليس أن نتشرب بأفكار بعضنا البعض أو أن اليسارى يصبح إسلامياً، والإسلامي يصبح يسارياً. وإنما أن نتعرف على بعضنا البعض جيداً. أن نحدد مناطق الخلاف، أن نحدد مناطق الاتفاق، أن نحدد إطار الصراع. وليكن إطار الصراع فيه لغة محترمة غير اللغة البندقية المنتشرة.

هناك أساليب سلمية غير أساليب العنف. هناك تفاعل حقيقى فى محاولة أن نؤثر على بعضنا البعض. والذى يبدأ أحياناً ليقول أنا لا أتأثر، أى أنا حجر لا ينفع أساساً فى الحياة العامة والحياة السياسية فقضية التفاعل هنا هى التى ستحسم مصير هذا الوطن.

وإذا كان بعض الزملاء من نشطاء حركة الطلبة يقولون «لا فائدة» لأن خبرتنا فى التعامل سيئة، فإن هذا جانب من الخبرة يا شباب، هناك جانب آخر من الخبرة التى هى خبرة جيلنا نحن. الكلام الذى يقوله أحمد بهاء والذى أقوله والذى يقوله آخرون أين سنذهب به؟ علينا أيضاً أن نرى قيمة خبرة جيلنا فنحن مررنا بنفس التجربة، ثم مررنا بنشاط الحياة العامة ونحن أكبر سناً، ثم تثقفنا أكثر وقرأنا أكثر، وكثير منا سافروا ورأوا العالم على حقيقته. فأصابنا شئ من النضج والانفتاح دخل فى صياغتنا المنهج التعامل مع الخصوم الفكريين أو الزملاء المخالفين فى الإطار الوطنى. لذلك أيضاً يحسن أن تستمع إلى خبرتنا وترى ما المفيد فهيا. أى أنا لا أكذب ما تقوله من معلومات حول أن الإسلاميين كانوا فى غاية السوء فى التعامل معك ومعى ومع آخرين. لكن أريد أن أقول نحن أيضاً لسنا بالجودة التى نتصور بها أنفسنا، نحن لسنا ملائكة وهم شياطين. نحن أيضاً فينا عيوب. وسنكون فى وضع أفضل من خلال معالجتنا لعيوبنا الخاصة، ومن خلال محاولتنا للتفاعل مع الإسلاميين، خصوصاً الفروع التى يمكن أن نجد لغة مشتركة معها. أنا لا أقول الذى يحمل لك بندقية ويريد أن يقتلك، أو الذى قتل فرج فودة، أو الذى يقتل جندى الشرطة، أو الذى يقتل الأقباط، هذا هو الذى ستحاور معه؟ لا. عندما يضع البندقية إذن نتحاور معه. أى لابد أن ينبذ ويدين خط العنف على طول الخط. لكن خط التحاور لابد أن يكون خطنا، وعلينا أن نحاور. وقد يبدأ الإسلاميون الحوار كتكتيك، أن يحاولوا أن يلبسونا العمة ، محاصرين ويريدون المساندة لكن أريد أن أقول لك أن تاريخ البشر وتاريخ الديموقراطية الغربية هو تاريخ التكتيك.. التكتيك الذى انقلب إلى تراث مستقر. كانت بداية الديموقراطية الغربية أن الطبقات العاملة والطبقات

المالكة يذبحون بعضهم البعض، فقرروا أن يمثلوا على بعض.. لا يذبحون بل يجعلونها صراعاً سلمياً - تكتيك - ثم انقلب التكتيك إلى مسألة راسخة هى الديموقراطية الغربية التى نعرفها اليوم. فحتى لو أن إخواننا الإسلاميين مستعدون أن يلعبوها لعبة تكتيك فلا مانع لأنه بمرور الوقت قد يتحول التكتيك إلى تقليد راسخ وعلينا أن ندفع فى هذا الاتجاه بدلا من اتجاه حرق البلد المطروح الآن. ويسرى ذلك على المجال الطلابى الذى نحاول أن ننقل إليه خبرتنا، كما يسرى على مجال الحياة العلمية التى نحاول المشاركة فيها على قدر طاقتنا، انتماء واستنقاذا لهذا الوطن العزيز.

stx.
.810
62
354
3
0510610

المؤلفان خلال محاكمة قادة الحركة الطلابية ـ دار القضاء العالي ـ سبتمبر ١٩٧٣